



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد ابن باديس - مستغانم -

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الدراسات الأدبية والنقدية

تخصص الدراسات الأدبية المقارنة



مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي والموسومة بـ:

أثر الأدب الفارسي في الأدب العربي قصة "ليلي والمجنون" أنموذجاً

إشراف الأستاذة:

"مسعودي فاطمة الزهراء"

من إعداد الطالبة:

- هدار سامية

السنة الجامعية: 2016-2017

دعاء

اللهم لا تدعني أصاب بالغرور إذا نجحت، ولا باليأس إذا فشلت
بل ذكري دائماً أن الفشل هو التجارب التي سبقت النجاح
يا رب علمني أن التسامح هو أول مراتب القوة
وأن حب الانتقام هو أول مظاهر الضعف
يا رب إذا جردتني من المال أترك لي الأمل، وإذا جردتني من
النجاح أترك لي قوة الهناء حتى أتغلب على الفشل
وإذا جردتني من نعمة الصحة فأترك لي نعمة الإيمان
يا رب إذا أسأت إلى الناس أعطيني شجاعة الاعتذار
وإذا أسأت الناس أعطيني شجاعة العفو
يا رب إذا نسيت ذكرك فلا تنساني

"اللهم زدنا علماً"

آمين

كلمة شكر وتقدير

العلم يبني بيوتا لا عماد لها

والجهل يهدم بيوت العز والشرف

أتقدم بالشكر و الامتنان إلى كل من أشعل شمعة في درب عملي و إلى

من وقف على منابر وأعطى من حصيلتهفكرة لينير بها دربي

وأخص بالذكر الأستاذة المشرفة "مسعودي فاطمة الزهراء"

التي لم تبخل علي بتوجيهاتها ونصائحها القيمة والتي كانت عوناً لي

في إتمام هذه المذكرة فجزاها الله عني كل خير

فلها مني كل التقدير والاحترام.

كما أتوجه بالشكر إلى كل من ساعدني من بعيد أو قريب على

إنجاز هذا العمل المتواضع .

" سامية "

الإهداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشرك والنهار بطاعتك، ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك، ولا تطيب الجنة إلا برويتك الله جل جلاله، إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

إلى من كلفه الله بالهبة والوقار، إلى من أحمل اسمه بكل افتخار، أرجو أن يمد الله في عمرك لترى ثمارا قد حان قطفها بعد طول انتظار: والدي العزيز

إلى سر نجاحي ودعمي، إلى من ربنتي وأنارت دربي وأعانتني بالصلوات والدعوات، إلى أغلى إنسان في الوجود : أمي الحبيبة

إلى كل أقاربي وأخص بالذكر إخوتي، وإلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة (عفيف، محمد هشام، محمد إسلام آدم، محمد رياض،نادية)

إلى كل من علمني حرفا أو كساتي علما ومنحني رأيا وقدم لي نصحا

إلى أخواتي التي لم تدهم أمي، إلى من تحلو بالإخاء وتميزوا بالوفاء

إلى من عرفت كيف أحبهم وعلموني ألا أضيعهم: صديقاتي

إلى من جمعتنني بهم مقاعد الدراسة

إلى كل طالبة الماجستير في كلية الأدب والفنون دفعة 2017

إلى كل من لم يرونهم حبري لئنهم في قلبي

"سامية"

بسم الله الرحمن الرحيم:

الحمد والشكر لله والثناء الجميل على توفيقه وعطائه، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

فالأدب من حيث كونه تفسيراً لمعاني الحياة وتعبيراً عن شعور تموج به النفس، لن يكون إلا أخص ما يكون من شأن البليغ وأصالة ذلك الأدب على قدر الخصوصية .

قام الأدب الفارسي على تنظيم فنون القول، فهو صورة لحضارة الساسانيين الذين بلغت حضارتهم أوج ازدهارها حتى أصبحت من أعظم حضارات الشرق القديم، فقد تعدى هذا الأدب حدود الزمان والمكان وخرج عن نطاق أكثر من لغة ليكون فيه نصوص البرهان على أهميته وخلود كينونته .

أقبل الفرس على اعتناق الدين الإسلامي، وأقبلوا على تعلم اللغة العربية وأجادوها لكونها لغة القرآن العظيم؛ فنظروا إليها نظرة احترام وتقديس لكونها قد حملت كلام الله عز وجل.

كانت العلاقة بين العرب والفرس قوية عظيمة الأهمية وذلك بفضل الترجمة لأنها الوسيلة إلى نقل المعرفة بينهم مما فتح المجال في التقاء اللغتين، إذ تواكبت اللغتان بثقافة إسلامية موحدة وأفضى كلاهما للآخر باستعارة كلمات وألفاظ فيما بينهما.

نجد الدراسات المقارنة تكثر بين الأدبين العربي والفارسي، ولعل هذا يعود لنشاط أمة دون أخرى في الإبداع الأدبي، والقدرة على الخلق يوفر مادة للبحث تفوق تلك المادة التي تتوفر للأدب الآخر، ولكن مع ذلك نجد أن هذه الدراسات العربية قد كررت نفسها فيما يخص العلاقات الأدبية بين الأدبين العربي والفارسي .

لقد اختلفت قصة "ليلي والمجنون" بين العرب والفرس وكلا منهما كانت لهم وجهة خاصة؛ فطرح نفسه ليثير جدلاً وسط الساحة الأدبية والمقارنة، إذ تعرض له مجموعة كبيرة من النقاد العرب منهم والغرب، فمنهم من قال أن مجنون ليلي هي قصة خرافية ومنهم من قال أنها صورة حضارات مشتركة بين الفرس والعرب، ومنهم من قال أيضاً أنها حكاية

عربية الأصل تنتمي إلى فترة ما قبل الإسلام دون ريب وهذا حسب أقوالهم واستشهاداتهم. فنظرا لكل شكوك الباحثين حول تاريخ هذه القصة إلا أنها حظيت باهتمام بالغ في الأدب والفنون غير العربية دون استثناء؛ ربما لم تحظى به أية قصة عربية سواها وعليه وجب علي طرح التساؤلات الآتية: كيف التقى الأدبان واحتفى كل منهما بالآخر؟ وما هي الثمرة التي فاء بها هذا اللقاح الأدبي على كل منهما؟ ما علاقة الأدب العربي بالثقافة الفارسية؟ وما الفرق في القصة بين الأدبيين؟ وكيف أثر الأدب العربي في الأدب الفارسي؟.

كان اختياري لهذا الموضوع لسببين: أحدهما ذاتي والآخر موضوعي؛ فالذاتي الرغبة في التطلع والمعرفة حول مدى أثر الأدب العربي في الأدب الفارسي، والموضوعي لإحاطة الباحث أو القارئ بنبذة و جيزة حول طبيعة الموضوع والتعرف على ما اكتسبه كل من الأدب العربي والفارسي في تحليله لقصة "ليلي والمجنون" .

وعليه يسعى هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف منها: تسليط الضوء على محفل التواصل بين الأدب الفارسي والأدب العربي؛ والرغبة في معرفة مدى تأثير كل منهما للآخر؛ والإلمام والإحاطة بتأثير القصة في كلا الأدبيين كرؤية نقدية .

وللإجابة عن تلك الأسئلة اعتمدت على خطة في بحثي هذا التي جاءت على النحو الآتي: مقدمة وقد جاءت ممهدة للموضوع ثم مدخل فتضمن تراث الفرس قبل معرفتهم الأدب العربي ، أتبعته بفصلين ، فصل نظري وفصل تطبيقي واشتمل كل فصل على مباحث ويندرج كل مبحث تحت عنوان خاص به، فالمبحث الأول لمححة عن العصر العباسي (اختلاط العرب والفرس)، والمبحث الثاني يتحدث عن أول من قال الشعر بالفارسية من الفرس، والمبحث الثالث تمثل في تتلمذ الفرس على يد العرب، والمبحث الرابع حول التوأمة بين اللغة الفارسية والعربية. أما الفصل الثاني فكان تطبيقيا جاء بعنوان دراسة تطبيقية حول قصة " ليلي والمجنون " تمحورت فيه تمهيد ثم اتبعته بأربع مباحث فكان افتتاحي بالمبحث الأول ليلي والمجنون في الأدب العربي والمبحث الثاني ليلي والمجنون في الأدب الفارسي، المبحث الثالث حول التأثير والتأثر بين الأدبيين، والمبحث الرابع يتضمن المقارنة بين الأدبيين (أوجه الاختلاف والشبه).

مقدمة

وفي الأخير درجت خاتمة جاءت ملمة لأهم النتائج التي توصلت إليها من خلال بحثي كما احتوى هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع وذلك لإثراء موضوع بحثي هذا وفهرس يحتوي على صفحات ما جيء في المضمون.

واتبعت في كتابة المذكرة على المنهج الوصفي التحليلي وهو المنهج المناسب لطبيعة الموضوع.

هذه الدراسة كانت رحلة استكشافية محفوفة بالصعوبات على المستويين النظري والتطبيقي، فمن المؤلف أن تعترى أي دراسة هذه الصعوبات، وهذا ما صادفته في البحث بقلّة المصادر والمراجع.

وختاماً أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذة المشرفة مسعودي فاطمة الزهراء بما فضلت به من نصائح وتوجيهات وعلى متابعتها البحث بجد وإخلاص، كما أخص لأساتذتي أعضاء لجنة المناقشة الموقرة بالشكر والثناء عليهم لما بذلوه من جهد في مراجعة المذكرة وفحصها.

وشكراً

يغلب الظن عند المؤرخين والباحثين أن الشعب الذي يسكن بلاد إيران حالياً هو أحد الشعوب الهندية الأوروبية التي نزحت من بلاد الهند وأطلقوا على أنفسهم اسم الفرس لكونهم سكنوا مقاطعة يرس أو فارس أو فارستان، المعروفة عند الإغريق باسم يريس حيث يرجعونهم إلى الشعوب الأوروبية للشبه القريب في لغتهم باللغات الأوروبية القديمة والمجموعة السنسكريتية التي لها علاقة بالهندية ، ولذلك كانت لغتهم تعرف بإحدى اللغات الهندية والأصل أن الشعب الفارسي من الشعوب الهندية الأوروبية.¹

تعتبر الإمبراطورية الفارسية التي تعرف بدولة الفرس أو الدولة الكسورية، من أعظم وأكبر الدول التي سادت المنطقة قبل البعثة النبوية، حتى إنها فانتت الدول الأخرى في الشهرة والقوة، بحيث تعد دولة الفرس أمة قديمة، ذات حضارة عريقة عظيمة.²

تميزت هذه الأمة باتساع رقعتها التي تحكمها وتعددت أسرها الحاكمة وكثر ملوكها أدبا يشبه اليونان أو الهنود مثلاً، وذلك أن هذا الأدب انحصر في كتاب الفرس المقدس "الإبستاق" أو ما يسمى "الأوستا" وهي الكتاب المقدس لدين زراديشت، ومعنى زراديشت صاحب أو جالب الجمال المسنة في الغالب، نظم أناشيد دينية خاصة بمذهبه الذي دعا إليه.³

الفرس من الشعوب الآرية إخوان الهنود واليونان، وهم أمة قديمة حاربت اليونان قبل المسيح ببضعة قرون.... فجردت على بلادهم جيشاً قد يصعب على أعظم دول الأرض اليوم حشده ونقله بمهماتهم ومؤونته من أواسط آسيا إلى البحر الأبيض، فالدولة التي لها هذا مبلغ قوتها لا تخلو من أدب وعلم، فهي أهل الذكاء وتعقل، وفيهم استعداد فطري لأسباب التمدن، فلا بد من إجادتها في نظم الشعر على نحو ما فعل إخوانهم الهنود في المهابهاراتة ونحوها، وإن كان ما وصل إلينا قليلاً. فالعلوم القديمة التي هي من قبيل الطبيعيات والرياضيات كالنجوم والأضواء، فقد أحرزوا شيئاً منها وخصوصاً لأنهم ورثوا البابليين والآشوريين واحتكوا باليونان وهم في إبان تمدنهم، واختلطوا بجيرانهم اليهود، حيث كانوا

¹- أمين عبد المجيد بدوي: القصة في الأدب الفارسي ، دار النهضة العربية - بيروت - (د.ط) ، 1911 ، ص 26.

²- الانترنت: الموقع: www.Effectivemensure.Net ، "منتدى التاريخ / مسلك التاريخ والحضارة" ص12.

³- مجلة المعرفة: "الأدب العربي في الآداب الأجنبية"، ع: (191-192) ، 1978 ، ص 17.

يعرفون الكتابة وينفشونها على الأحجار باللغة الفهلوية، إذ يؤيد ذلك ما جاء في كتب الأخبار عن فتوح الإسكندر لبلاد فارس وما عثر عليه في عاصمتهم، اصطخر من خزائن الكتب.¹

والمشهور أن علوم الفرس لم تأخذ في الظهور إلا في أيام "سابوربن أرد يشر" فبعث إلى بلاد اليونان من جلب كتب الفلسفة وأمر بنقلها إلى الفارسية، واختزنها في مدينته، وأخذ الناس في نسخها وتدارسها، فلما تولى كسرى "أنوشروان العادل" (531-578هـ)، فتح للفرس موردا جديدا للعلم والفلسفة بما كان من اضطهاد "بوسنيان" قيصر الروم للفلاسفة الوثنيين على أثر إقفاله الهياكل والمدارس الوثنية، حيث كانت الفلسفة الأفلاطونية الجديدة قد نضجت، ففر أصحابها من وجه الاضطهاد وتفرقوا في العالم، جاء منهم إلى أنوشروان فأكرم وفادتهم وأمرهم بتأليف كتب الفلسفة ونقلها إلى الفارسية، فنقلوا المنطق والطب وأفوا فيهما الكتب وطالعوها، ورغب الناس فيها؛ كما عقد المجالس للبحث والمناظرة وجالسوه على أنه من تلامذة أفلاطون، وتلك الفلسفة كانت أساسا لتعاليم الصوفية التي نشأت بعد ذلك، ولم يقتصر أنوشروان على نقل علوم اليونان إلى لسانه ولكنه نقل علوم الهنود من السنسكريتية إلى الفارسية وأنشأ مدينة "جندبس" مستشفى لمعالجة المرضى، فتعليم صناعة الطب استقدم إليه الأطباء من الهند وبلاد اليونان.²

حيث كان نظام الحكم في دولة الفرس نظاما ملكيا مطلقا وقد لقبوا حكام الفرس بشاهنشاه أي "ملك الملوك" وكتبوا على نقوشهم بأنهم ينحدرون من نسل الآلهة، لذلك يعتبر الملك وأسرته الطبقة الأولى، تليهم الطبقات الأربعة التي هي أصحاب الدين والحرب والخدمة وكانت الفرس تقوم على تأدية فرائض دين خاص بها وهذا الدين كان مبني على تأهيل العناصر وعبادة القوى من الطبيعة إذ يقول "هيروديت": إن الفرس يعبدون الشمس والقمر والنجوم والماء والأرض منذ زمن بعيد" وذلك من خلال كتابهم المقدس "الأوستا" التي تذكر فيها الأقاليم التي لا وجه للشك فيها، ففي دين زراديشت أن النور يرمز لكل خير، والظلمة رمز لكل شر، ومن ثم كان كل ما هو مضيء أو مشرق موضع تقديس في النار بما يجري عليها من صفاتها كانت شعار لأتباع هذا الدين وحرصوا الحرص كله

¹ - جرحي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، الجزء 2 ، تقديم إبراهيم صحراوي ، دار موفم للنشر ، 1993 ، ص 43

² - المرجع نفسه : ص 44.

دينه على عدها مما يعبر عن اعتزازهم بمذهبهم فكانوا يحتفظون بها في كل دار وأقاموا لها بيوتا تعرف ببيوت النار ويحوجنها التماسا للبركات منها.¹

الفرس أمة متجردة في التاريخ لهم في الحضارة الإنسانية أصالة يشهد لها تراثهم، وفي الحرب دراية وخبرة وفنون أنبتتها حروبهم مع الروم، وهي حروب وصفت بأنها استولت على عقول ملوك آل ساسان.²

الفرس أمة لها سماتها المستمدة من التقاليد الدينية والاجتماعية، ويكفي أن نذكر أن هذه الأمة كانت إحدى قوتين اللتين كانتا تسيطران على العالم القديم وهما الفرس واليونان ثم الفرس والرومان بعد ذلك.³

ولقد مرت هذه الدولة بعدة أطوار قبل البعثة وبعدها، ونقف في هذا على ذكر ما كانت عليه الدولة الفارسية من انحطاط وخلل كبير في الأنظمة السياسية والدينية والاجتماعية التي سادت، فمن الجانب السياسي والحياة فيه قام باحتكار أقوىاء الثورة ومصادر هوانهمكوا في مشاغل الحياة وملذاتها، وزادوا من ثرائهم بالربا الفاحش والضرائب الثقيلة التي فرضوها على الضعفاء من الفلاحين والعامّة، وحرّموا على العامة أن يشتغل الواحد منهم بغير الصناعة التي مارسها أبوه، وكانت الضرائب تفرض بصورة اعتباطية وخاصة وقت الحروب؛ أما من الجانب الديني والفكري، لم يعرف الفرس الدين الحق ولم تنتشر بينهم الأديان السماوية التي سبقت ظهور الإسلام إلا بنطاق محدود جدا، وكان أكثرهم على المجوسية، فمنذ القرن الثالث الميلادي صارت الزراديشية دينا للدولة، وقد تدهورت أخلاق رجال الدين الزراديشي وحاول كسرى الثاني تجديد الزراديشية وإحياء معابد النيران ونشر تفسير جديد لكتابها وكانت عقوبة من يخرج عليها الإعدام، وهذه المعتقدات الباطلة لا تقدر أن تهب النفوس البشرية الطمأنينة والراحة النفسية، ولا تشبع تطلعا إلى الله الواحد الحق

¹ - لباول هورن : الأدب الفارسي القديم ، ترجمة دكتور حسين مجيب المصري ، دار الثقافة للنشر - القاهرة - ط 1 ، 1999 ، ص 70 و 120 .

² - منتدستار تايمز : " أرشيف التاريخ العالمي والإسلامي " الساعة : 39 : 15 ، يوم : 21 جانفي 2017 ، ع : 2 ، ص 18 .

³ - سامي نوار : فن صناعة المخطوط ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، ط 1 ، 2002 ، ص 9 .

ولا تمنحها القيم الأخلاقية الرفيعة ولا قواعد العدل الاجتماعي، حيث كانت الحياة الاجتماعية فيها تقوم على عامدين: "النسب والملكية"، كان يفضل النبلاء عن الشعب وكان لكل فرد مرتبته ومكانه المحدد في الجماعة، حيث تقوم الأسرة على أساس تعدد الزوجات وشاع بينهم الزواج بين المحارم، فوضع المرأة كان يشبه وضع الرفيق، حيث بإمكان الزوج أن يتنازل عنها لزوج آخر دون رضاها، كما شاعت عادة التبني للأولاد؛ وقد انتشرت الإباحية وعم الفساد الخلقي والاجتماعي خاصة عندما انتشرت المزدكية التي دعا إليها "مزادك" إذ يعود تاريخ الحضارة الفارسية إلى أكثر من ألفي سنة، وفي الحقيقة الزمنية التي دخلت فيها جماعات مختلفة من الأصل الأخرى مثل الماديين والباريسيين ومعظم هذه الحكومات لم تعرف الوحدة المتكاملة والاستقرار، بل كانت في حروب قبلية، فقد بقيت الفارسية تفتقد إلى حكومة مركزية موحدة منسجمة، إذ كانت تحكم حكومات إقليمية محلية نقاط مختلفة من البلاد حتى قيام الملكية الصفوية (1501) ثم السلالة الملكية الأفسرية، ولقد استمر هذا النوع من الحكم الاستبدادي سائدا في إيران حتى انقراض السلالة الفهلوية.¹

فكان تنظيم الدولة العسكري للفرس في تاريخهم القديم أمة مسلحة وشعبا محاربا، ويبدو أن دولة الفرس نظمت المجتمع الفارسي ليكون مجتمع حرب، فاعتمدت نظاما أسريا وإقليميا يركز على أربع وحدات:

1- البيت (غانة)

2- القرية (ويس)

3- القبيلة (زنتو)

4- الإقليم (دهيو)

¹ - آذرتاش آذرنوش : سبل نفوذ الفارسية في ثقافة عرب الجاهلية ولغتهم ، ترجمه وعلق عليه الدكتور محمد التونجي ، دار المجتمع الثقافي ، (د.ط) ، 2004 ، ص 15 - 17 .

كان رؤساء القرى يضطلعون بدور أساسي في هذا التنظيم، فهم من كبار أمراء الملك ينشؤون رعاياهم على الحرب، حيث خضع تركيب المجتمع الفارسي إلى النظم الإقطاعية والطبقية لكي يأتي متوافقا مع النظم الحربية للدولة.¹

كما حدد ملوك فارس عقيدة جيوشهم، فجعلوا مهمتها الأساسية المحافظة على ملكهم وكانت أول خطوة لأزدشير في حربه للانتقال من ملوك الطوائف إلى الدولة الموحدة وأصبحت سياستهم منذ عهد "أزدشير" وخلفائه الأوائل متجهة إلى حماية الحدود من الشرق والغرب والشمال والتي كانت على ما يبدو مهددة بصورة دائمة، واهتم الفرس بتنظيم جيش إمبراطوري قوي، وربطوا وجود دولتهم بقوته وتماسكه، فاستعملوا المال على إعداده متبعين سياسة "أنوشروان" (الملك بالجند والجند بالمال)، حيث كانت الفروسية لدى الفرس منذ القدم رمزا للبطولة والتي ارتبطت بالملك مباشرة وعليها يرتكز سلطانه ونظامه.²

عرف الفرس بنتيجة حروبهم مع الروم والأمم الأخرى المعاصرة لهم، نظم القتال ومبادئ الحرب، وأفاد قادتهم من دروس المعارك التي خاضوا غمارها لتحسينها وتطويرها، بحيث أصبحت فنون القتال عندهم لا تختلف كثيرا عما هو متعارف عليه في عصرنا، فكان لهم نزعة قومية في تعلقهم بدينهم القديم وتراثهم في كل جوانبه، إذ يعد الأدب لديهم أدب ينظم فنون القول، فهو صورة لحضارة الساسانيين الذين بلغت حضارتهم ازدهارها حتى صارت من أعظم حضارات الشرق القديم، وقد تعدى الأدب الفارسي حدود الزمان والمكان وخرج عن نطاق أكثر من لغة ليكون فيه نصوص البرهان على أهميته وخلود كينونته وبلوغه ما كان الظن به، أنه بالغها مع كل حال من الأحوال.

فالفرس على امتداد حضارتهم كانوا بقصصهم القديمة ذاكرين له، ففي كل شعر مثلا إشارة أو إشارات إلى القصص على نحو أو آخر، وكان ذلك معهودا في الألف الأخيرة من

¹- لبلول هورن : المرجع السابق ، ص 113 .

²- منتدى ستار تايمز : المرجع السابق ، ص 19.

تاريخ الأدب خصوصاً، ففي قديمهم عرفوا الشعر الموزون على قواعد وأصول وكثيراً ما كان يشبه الشاعر نفسه ببطل أسطوري في واقع حاله.¹

1 - آذرتاش آذرتوش : المرجع السابق ، ص 18 .

المبحث الأول: لمحة عن العصر العباسي (اختلاط العرب والفرس):

كان العصر العباسي عصر الحضارة الإسلامية وامتداد الثقافة العربية في جميع بقاع العالم، ثقافة الفكر والعلم والتجديد في كل فروع المعرفة وكل جوانب الحياة، التي تتلمذت عليها الأمم والشعوب. وفي هذا العصر ظهرت أئمة الفكر الإسلامي العربي وأعلام الأدب العربي شعره ونثره وصار فيه الأدب أدب الثقافة الرفيعة، والذوق العالي في جميع أنحاء الدنيا¹.

إذ يعد هذا العصر عصر النهضة والازدهار في الآداب العربية، حافلا بثتى التيارات الفكرية والعلمية والأدبية، وقد ورث العباسيون بني أمية بالغلبة والقهر وثلوا أعرشهم بيد صنائعهم من الأعاجم، والفرق بعيدا بين ما هنا وهناك في شتى المظاهر في نظام الخلافة وأساليب الحكم ومظاهر الحياتين الفكرية والاجتماعية. مما كان أثرا محتوما لسيطرة العنصر الفارسي على أعنة الشؤون الداخلية والخارجية صغيرة وكبيرها في المملكة الإسلامية، فهذه المداخل العنيفة نقلت الحكم الإسلامي من طور إلى طور، وأثرت في الحياة العربية تأثيرا كسر ويا خالصا وأورث العرب من ضروب المدينيات ما هضموه وتمثلوه، فأضافوا إليه كثير من ألوان ومظاهر التجديد².

إن دخول العرب إلى بلاد فارس كان سببا خطيرا من أسباب تحول هذا المجتمع اجتماعيا ودينيا وثقافيا، ففي الجانب الثقافي، والشعر جزء منه، تغير المجتمع الساساني القديم إلى وضع جديد، حيث لا يعتبر الوضع القديم بالنسبة إلى الوضع الجديد إلا ظلا تافها لا قيمة له، ومن أول مظاهر هذا التحول، هجر الفرس "لغة الفهلوية" التي ماكان يعرفها إلا عدد قليل من المثقفين ومنهم كتاب الديوان على تعلم لغة دينهم الجديد واستخدام الحرف العربي في الكتابة بدلا من الحروف الفهلوية المقتبسة من الحروف السريانية، التي كانت صعبة القراءة خالية من المصوتات كشأن الكتابات السامية، يقرأ فيها الحرف الواحد بأشكال متعددة تتخللها

¹ - محمد عبد المنعم الخفاجي: الحياة الأدبية في العصر العباسي، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر "الإسكندرية"، ط 1، 2004، ص 11.

² - مجلة المعرفة: "الأدب العربي في الآداب الأجنبية"، 1978، ع: (191-192)، ص 21.

الفصل الأولهايات وإرهاصات

كلمات سريانية للفصل بين الكلمات المتشابهة تسمى "الهزراوش" تكتب بالسريانية وتقرأ بالفارسية، حيث كانت الكتابة العربية بهذا أسهل استعمالاً، فاستخدام الفرس للحروف السامية في كتابة لغتهم أمر قد ألفوه منذ زمان طويل.¹

كذلك وضع التعليم طراً عليه تغيير عميق، إذ أن التعليم في العصر الساساني، كان مقصوراً على تحصيل بعض المعلومات الأولية من شؤون الدين، وقد كسر الإسلام هذا الطوق الذي كان يمنع أبناء الطبقات الدنيا من تحصيل العلم، بينما انكمش بعض أبناء الطبقات العليا ممن ظلوا على دين المجوسية، وعلى الموروث من أساطيرهم وتعاليمهم الدينية، وبهذا انقسم المجتمع إلى قسمين :

- قسم ضئيل يتمسك بتلك الثقافة القديمة .

- قسم كبير يقوم على الجماهير العريضة التي فتح الوضع الجديد أمامها سبل التعليم، التي كانت تنتشر يوماً بعد يوم، في كل مكان من أرض الفرس، هي الحاضر له، وكان التعليم فيها مجاناً يتوخى فيه المعلمون الأجر والثواب الأخرى.

قد تمثلت هذه الأداة في اللغة العربية لأنها لغة الدين، التي كانت تتطور يوماً لتصبح بعد ذلك لغة العلم في العالم، حتى ظهرت اللغات الأوروبية الحديثة في العصور الأخيرة لتزليها عن مكانتها تلك.²

أما الجانب الديني، فلو اتبعنا التقسيم القديم للعلوم إلى دينية وعقلية، لوجدنا أن أساتذة العلوم الدينية في التفسير والحديث والفقہ... الخ من العرب، وهم الذين نقلوا هذه العلوم معهم فأصبحوا بالضرورة هو المعلمين الأوائل للفرس، فمثلاً مسلم بن الحجاج من بني قشير يعتبر كتابه في الحديث أحد كتابين معتمدين في صحيح الحديث، وقد نبغ من هؤلاء القشريين جماعة من العلماء الفضلاء أشهرهم عبد الكريم بن هوازن القيشري النيسابوري عند ترجمة الكتب اليونانية والهندية والفهلوية إلى العربية، احتكرت العربية هذه العلوم فأخذها الفرس عنها، ويكفي أن نعرف أن ابن سينا والبيروني قد تعلموا باللغة العربية وكتبوا بها دون أن يريا

¹ - مجلة المعرفة: المرجع السابق، ص 22.

² - المرجع نفسه : ص 22 .

الفصل الأولهايات وإرهاصات

بلاد العرب، حتى نعلم مدى هذا الانتشار والنفوذ للعربية. فإن العربية قد حافظت على هذا التراث الفارسي الذي ترجم إليها، وقام الفرس بترجمته مرة أخرى إلى لغتهم كما فعلوا عند ترجمة كليلة ودمنة إلى الفارسية الدرية، وبعد أن نقله ابن المقفع من الفهلوية إلى العربية، وهكذا يبدو لنا أن حياة جديدة قد سرت في عروق ذلك المجتمع القديم ونشأت فيه بيئات علمية جديدة، وأقبل الفرس على تحصيل الجانب الأدبي من الثقافة العربية، وأصبح المئات بل الآلاف منهم يحفظون الشعر العربي والأمثال والحكم والأساطير وكل ما يتعلق بتاريخ العرب قبل الإسلام في أيامهم وحروبهم وما إلى ذلك، حيث ظهر بين الفرس والعرب من نظم الشعر العربي وكتب الرسائل الأدبية.¹

كما أن بين العرب والفرس روابط متصلة نلتمسها في سياق تاريخي اجتماعي واضح المعالم مما يزعم أنهما يلتقون في شخصية الضحاك التي تعيشها الأساطير، فالضحاك من ملوك العهد الفارسي، الذي يسوق المؤرخين نسبه في العرب قيل: أنه عربي وابن ملك في بلاد العرب يسمى "مرداس" كان خيرا تقيا، إلا أن الشيطان أظل الضحاك وزين له أن يقتل أباه فقتله وتملك بعده. وقال الطبري: "والعجم تدعى الضحاك وتزعم أن جما كان زوج أخته من بعض أشرف أهل بيته على اليمن، فولدت له الضحاك، واليمن تدعيه أنه من نفسها، فقد ورد اسم الضحاك مرارا في "الابستاق" وهو كتاب الفرس المقدس، ويؤخذ مما ذكر أن الضحاك كان من ملوك غرب إيران وقدم البلاد غازيا.²

كان الفرس عماد النظام السياسي والإداري للدولة، ودعاة الترف والمجون والحضارة، وطابعهم حب السيادة والقدرة على تنظيم إدارة الدولة وتشجيع العلوم والظهور بمظهر التشيع، أما العرب فأقضى عن النفوذ في الدولة والخلافة وكان نفوذهم أظهر ما يكون في الشام والجزيرة حيث كونوا لهم هناك دويلات كثيرة، وطابعهم يتصف بالزهو والاعتزاز بالنفس والفضائل والميل إلى الأدب والرغبة في السيادة.³

¹ - مجلة المعرفة: المرجع السابق، ص 23.

² - حسين مجيب المصري: الصلات بين العرب والفرس والترك " دراسة تاريخية أدبية "، الدار الثقافية للنشر- القاهرة ط1، 2001، ص 11-12.

³ - محمد عبد المنعم الخفاجي : المرجع السابق ، ص 22.

الفصل الأول هدايات وإرهاصات

حيث كانوا يسمون أنفسهم أبناء الأحرار ويعتبرون العرب في عهد الساسانيين أحقر جيرانهم، ذلوا حتى لقبوا بالموالي، وكان من بينهم يعادون الخلفاء الأمويين، ويظهرون تأثيرين عليهم رغبة في إسقاط الدولة الأموية، وقد أشاعت مذبحة كربلاء الذعر في العالم الإسلامي بأسره، كما أثارت في فارس شعورا قوميا أعان بني العباس فيما بعد على تعويض حكم بني أمية؛ مما جعل الفرس الموالي في عهد الخلفاء الأمويين في حال من الذل والهوان، ولم ينصفهم إلا عمر بن عبد العزيز الذي اشتهر بركة طبعه، فقد خفف عن أهل خراسان من الفرس وطأة الحياة وعزل ظالمهم من الحكام وسوى بين المسلمين أجمعين، ومنع هدم بيوت نار المجوس ولم يسمح بإقامة بيوت أخرى، أما ما كان من نزاع وتخاصم بين بني أمية وبني هاشم فقد جعل اعتماد بني هاشم على أتباع ومظاهرين لهم من الفرس، لأن اتكاء بني أمية كان على يد العرب وحدهم، فالعباسيين وهم من بني هاشم انتزعوا الخلافة من الأمويين بفضل الإيرانيين، وإذا ما ذكرنا إقليم خراسان الذي قام في الدولة العباسية، ألفينا أن ساكنيه من العرب كانت فارسيهم أرجح من عربيتهم، فقد تزوج أبائهم فارسيات، فتكلم أبناؤهم الفارسية وشربوا الخمر واخذوا بعادات الفرس. حيث كان الحكم الأموي حكما عربيا قوميا بتمام المعنى وقد سقط هذا الحكم لما كان بين القبائل من تنازع وتخاصم وكان سقوطه وسط ذلك الصدام مع الفرس.¹

وعليه كانوا هم الذين أقاموا دولة بني عباس على أنقاض دولة بني أمية ولذلك أيقن خلفاء العباسيين بأن الفرس أنصارهم ولم ينسوا ما كان لهم من فضل في إقامة دواتهم ثم أفسحوا مجال لهم، فغضت قاعدة الخلافة بهم ووكلوا أمور الملك إليهم وكان منهم الوزراء والأمراء والحجاب وأهل الأدب وبلغت وثيقة الصلة بين الفرس وخلفاء العباسيين حدا حاول فيه بعضهم عبادة المنصور وهم "الراوندية" وهي فرقة ضالة من الفرس مما جعل الخلفاء العباسيين يختارون وزراءهم من الفرس وأولهم أبو سلمة الخلال الذي وزر للسفاح، وكان يريد الخلافة لأحد من ذرية علي بن أبي طالب وجدير بالذكر أن الخلفاء العباسيين أيقنوا

1- حسين مجيب المصري: المرجع السابق، ص 50 - 51.

الفصل الأولهايات وإرهاصات

بأن اتساع نفوذ الفرس في دولتهم خطر داهم يتهدد ملكهم، فعولوا على أن يقفوا ذلك عند حد دفاعا عن كيانهم.¹

ومن أهم مظاهر اعتزاز الفرس بأنفسهم ورغبتهم في إعلان حقهم في السيطرة على العرب وشعورهم بأن سابقتهم في المجد تجعلهم لذلك كله أهلا، تلك النزعة المعروفة بالشعبوية واستمدت هذه الأخيرة اسمها من قوله تعالى في سورة الحجرات: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ أَهْلَ عَالَمِينَ خَيْرٌ] الآية: (13).²

وهذا يعني بأن الأعجمية والعربية ليست من عوامل التفاضل بين الناس، بل إن الدين وحده عامل التفاضل، ومن يأخذون بهذا يسمون أهل التسوية أي الذين يسوون بين الأمم وهم بذلك إنما يلزمون أنفسهم بأمر الإسلام وصريح القرآن، سواء أكانوا من العرب أم من العجم ولكن العرب بالموالي، فكلمة الشعبوية بمعناه الاصطلاحي لم تعرف إلا في العصر العباسي؛ مما أفضى إليه اختلاط العرب بالفرس في العصر العباسي ظهور الزندقة، وقد رأى بعض الفرس أن انتقال الخلافة من الأمويين إلى العباسيين لم يحقق لهم أملا، ومطمح نفوسهم أن تكون حكومة العباسيين فارسية في مظهرها وجوهرها، وفي سلطتها ولغتها ودينها، فعملوا جهد المستطاع على نشر ديانتهم وهي الزردشتية والمنوية والمزدكية في السر والعلن، فكان ذلك سبب فشو الزندقة في العصر العباسي والحافز على نشر تلك الديانات الفارسية في المجتمع العربي الإسلامي كان قويا سياسيا يدعو على بعث الحضارة الفارسية القديمة في مظهر من أهم مظاهرها هو الدين، وأدى اعتناق تلك المذاهب إلى التجافي عن أوامر الدين الحنيف ونواحيه، فماج المجتمع العباسي بالإلحاد ورقة الدين وكثر المستهترون وأهل المجون.³

وجملة القول في الزندقة أنها كانت صراعا بين العرب والفرس وهي ظاهرة لها خطرها من حيث أنها الخلفاء العباسيين إلى ضرورة حماية الدين و الدولة منها و وجوب اللجوء

¹ - حسين مجيب المصري: المرجع السابق، ص 53 - 54.

² - القرآن الكريم: سورة الحجرات ، (الآية: 13).

³ - المرجع نفسه : ص 65- 66 .

الفصل الأولهايات وإرهاصات

إلى أعنف العنف لاستئصال شأنها، ولا يغربن عن بالنا أنها تكشف عن رأي أخذ به بعض الناس المجتمع العباسي فقيل: "أظرف من زنديق" وأصبح ذلك مثلاً في زمان كثر فيه الظرفاء وزمان مهد وكان هؤلاء الظرفاء يرمون بالزندقة كصالح بن عبد القدوس وحماد الراوية، وممن تقدمهم قليل كابن المقفع وابن أبي العوجاء، حيث اتخذ الزنادقة أهل البدع من الفرس موقفاً آخر من خلفاء العباسيين فمنهم من استحفل أمره وكثر جمعه وقويت شوكته حتى شقا العصا و خلع الطاعة ونصب العرب حرباً ولاشك أنهم بعقيدتهم الدينية إنما أرادوا بعث قوميتهم الفارسية وإحياء كيانهم المجيد في الماضي البعيد. ثم ظهرت أخطر حركة من حركات الزنادقة وهي حركة بابك الخرمي التي قوت تيارات الشعبوية مما هدد وحدة المجتمع العباسي وأفضت إلى نوع من الفوضى الاجتماعية بإحياء العقائد المجوسية التعاليم الإباحية وزاد من خطوة تلك الحركة أنها حاولت التحالف مع الدولة البيزنطية التي وقفت من الدولة العباسية موقف العداء على الدوام.¹

وهكذا تمسك الفرس بالعقيدة الدينية تمسكاً، واعتبروا الاعتصام بها والدعوة إليها سبيلاً إلى بعث قوميتهم واتخذ صنيعهم هذا مظهرين أحدهما خاص وآخر عام، فالخاص مرتبط بالإيمان الشخصي لدى بعضهم، الذي حداهم على الدعاوة وزين لهم أن يشهروا بالعرب ويمتدحوا الفرس ومنهم من تعمد الإساءة إلى العرب بإفساد دينهم، فتصدت الدولة لهم وواجهت بالردع حملتهم، أما العام فكان احتكاماً إلى السيف في استرداد ما ذهب من ملكهم وكانت حروبهم مع العرب دينية في مظهرها غير دينية في حقيقتها والمأمول من شنّها وما كان مثل هذا من نيتهم ليخفى على العرب الذين ناشبوا بالحرب لكف عاداتهم عن دينهم ودولتهم.²

"ولما عظم شأن بني بويه منذ عام 32، قويت شكوتهم واتسعت رقعة ملكهم حتى أصبحوا أصحاب السيادة والنفوذ في بغداد مدة قرن من الزمان وما كان على الخلفاء إلا طوع يدهم على العرش يجلسونهم وعنه ينزلونه، ويذوقونهم ألوان الذل والهوان مما زاد الأمر سوءاً أن البويهيين كانوا من الشيعة، فقد غلب البويهيين الخلفاء العباسيين على أمرهم وكأنما أرادوا

¹ - حسين مجيب المصري: المرجع السابق، ص 67 - 68.

² - المرجع نفسه: ص 69.

الفصل الأول هدايات وإرهاصات

أن يثاروا للفرس من العرب ويشفوا غيظهم من تسلطهم عليهم بدليل شدة قسوتهم في اتخاذهم سخرية والتكيل بهم في صورة تدل على الإهانة، ومما لا ريب فيه أن معاملة بني بويهلبي العباس تقف على بعد الفرق بين معاملة الفرس للعرب والعكس صحيح، ففي فتح فارس قاتل العرب الفرس قتال شرفاء الرجال، ولم يقصروهم على الدخول في الإسلام بقوة السيف كما يعتقد بعض الباحثين من شرقيين وغربيين، وإنما حاربوا من أبو قبول الجزية من أهل الكتاب، سواء كانوا من الفرس أم غيرهم عملاً بقوله تعالى في سورة التوبة: [قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ] الآية: (78).¹

ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أن يسن بالمجوس سنة أهل الكتاب وقد غزا العرب في سبيل الله وبسم الله، وأوصى النبي صلى الله عليه وسلم الغزاة المسلمين بتقوى الله وألا يغدروا ولا يمثلوا ولا يقتلوا وليدا.²

حقيقة الأمر أن الفرس والعرب تعاودوا في حربهم بعد فتح العرب لإيران وكانت حرباً طويلة المدى متعددة الوسائل والمظاهر، كما تدور الدائرة فيها على العرب حيناً وعلى الفرس حيناً آخر، حتى أدب الفرس من العرب، ثم تحكم المسودون في ساداتهم واشتقي المغلوبون من غالبيتهم ولئن انتزع الفرس أزمة الحكم من يد العرب لقد ظل العرب غالبين بدينهم وثقافتهم ولغتهم ونصر الله الإسلام على المجوسية وأخذ الفرس بثقافة العرب في شتى نواحيها، وأصبحت العربية لغتهم في التعبير الأدبي والعادي حتى اعتبر التكلم بالفارسية بين العرب من سقوط المروءة ومصداق لقول الأصمعي: "تحكم عليهم بالدناءة حتى يعرفوا رجل شممت منه رائحة نبيد في محفل، أو سمعته يتكلم في مصر عربي بالفارسية أورأيته على ظهر الطريق ينازع في القدر". فكان التكلم بالفارسية في نظره منكر ليس فيه رضا الله كشرب الخمر مثلاً، أما دوام العزة لدين العرب الذين حفظهم الله أن يغلبوا عليه، غير أن

¹ - القرآن الكريم : سورة التوبة ، (الآية : 78).

² - حسين مجيب المصري : المرجع السابق ، ص 70.

الفصل الأول هدايات وإرهاصات

الأدلة منعقدة بين العرب والفرس من صلة المصاهرة وتجنيدتها معروف منذ عهد بني أمية حيث قال عبد الملك بن مروان: "من أراد أن يتخذ جارية للولد فليتخذها فارسية".¹

ومما لقي بين العرب والفرس وجمع بينهم "عيد النيروز" حيث يتألف من كلمتين فارسيتين هما: (نور) بمعنى جديد، (روز) بمعنى يوم، فمعناه "اليوم الجديد"، فاتخذته الفرس لإحياء عامهم الجديد وهو أول أيام السنة عندهم، لانتقل فيه الشمس من برج الحوت إلى برج الحمل إذ يقول البيروني: إن أول من اتخذ هذا اليوم عيداً هو ملك الفرس الأسطوري "جمشيد"، ويسمى سليمان بن داود في بعض المصادر العربية، وقيل في أصل هذا العيد أن الملوك والطيور أتته فقالت الفرس: "نوروز آمد" أي: "جاء اليوم الجديد"، فكان العرب يعرفون عيد النيروز وعيد المهرجان منذ قديم الزمان، وقال النبي صلى الله عليه وسلم قدمت: (المدينة ولأهلها يومان يلعبون فيهما في الجاهلية، وإن الله أبد لكم بهما خيراً منهما يوم الفطر ويوم النحر)، وأول من رسم عيد النيروز والمهرجان في الإسلام الحجاج بن يوسف الثقفي، ثم رفع ذلك عمر بن عبد العزيز، وقد أورد القلقشندي عبارة حقيقية بالنظر إليها وهي أن النيروز يوم تسمو له العجم ويستعجم في العرب تشريفاً له واعترافاً بفضلته واقتداءً بأهله وأخذاً بسنتهم فيه، أي أن العرب تتلو العجم في تعظيمه، فهذا صريح في تأكيد أن الاحتفال بالنيروز كان يجعل العرب كالعجم لتشبيهم بهم وتلك رابطة بين العرب والفرس لاشك أنها بلغت في القوة نهايتها.²

ودرج الفرس الأقدمون على تقديم الهدايا الرمزية إلى ملوكهم في عيد النيروز حيث كانوا يرفعون النار في ليلته ويرشون بالماء في صبيحته، زاعمين أن إيقاد النار يحلل العفونات التي أبقاها الشتاء في الهواء والرش بالماء لتطهير الأبدان من دخان تلك النار وقد أشار أحد الشعراء إلى هذا كله بقوله :

وَكُلُّ مَا فِيهِ يَحْكِينِي وَأَحْكِيهِ.

كَيْفَ ابْتِهَاجُكَ بِالنَّيْرُوزِ يَا سَكْنِي

وَتَارَةً كَنَوَالِي عِبْرَتِي فِيهِ.

فَتَارَةَ كَلْهَيْبِ النَّارِ فِي كَبْدِي

أَسْلَمْتَنِي فِيهِ يَا سُوْلِي إِلَى وَصَبَفِ كَيْفَ يَهْدِي إِلَى مَنْ أَنْتَ تَهْدِيهِ.

¹ - حسين مجيب المصري: المرجع السابق، ص 71-75.

² - المرجع نفسه: ص 76.

الفصل الأول هدايات وإرهاصات

وقد تأصلت عادة تقديم الهدايا إلى الملوك في نفوس الفرس إلى أبعد حد، سنة مرعية وواجبا لا يسع الرعية التقصير في أدائه نحو راعيها، غير أن تقديم الهدية تطور إلى تقديم للجزية إذ كانت مورد عظيمًا للدولة الإسلامية. ولم يكن عيد النيروز صلة بين العرب والفرس فقط، بل إنه جمع بينها على توقيت في دفع الخراج، ولا يخفى ذلك من أهمية حيوية للدولة التي تتلقى هذا الخراج والرعية التي تؤديه لها، وكان الخراج يستوجب الأداء في يوم النيروز، وفي هذا التاريخ بالذات كان يتم حصد القمح والشعير في فارس.¹

كما اعتبرت الترجمة بين العرب والفرس صلة قوية عظيمة الأهمية، لأنها الوسيلة إلى نقل المعرفة بينهم وللمعرفة من صفات الدوام ماقد لا يكون لغيرها، وأثرها بعيد مداه، ونتائجها تحول و تطور، وكل ما يترجم لا بد أن يكون خاصا بأصله جديدا على ما يترجم له. فالترجمة تفضي إلى إتحاد فكري واندماج روحي، وفي هذا ما فيه من قوة الربط بين من ترجم عنهم ومن ترجم لهم، مثلا ترجمة تواريخ الفرس للعرب التي علمت العرب ما لم يكونوا يعلمون عن الفرس، حيث جعلتهم يعايشونهم في أحداث بلادهم وسير ملوكهم، وينقلون عنهم ما يعلمون ليروه ويضمونه في كتبهم، ككتاب "كليلة ودمنة" الذي نقله ابن المقفع عن الفهلوية إلى العربية، والذي يعد أعظم مترجمات ابن المقفع أهمية وأحقها بالذكر، فقد تداوله العرب والفرس مما فتح المجال في التقاء اللغة الفارسية والعربية على السنة بعض من شعراء وبلغاء الفرس، وبذلك توأمت اللغتان وارتبطتا بثقافة إسلامية موحدة.²

إن أثر الفرس في العرب كبير، فهم الذين أشاعوا فيه اللهو والمجون ووصف الراح، فقد تأثر أدب الزهد كثيرا بنزعات الفرس وعنه نقلت آثار كثيرة، فامتزاج العرب والفرس عظيم الأهمية من حيث كونها آثار عقلية روحية، تربت على ما كان بين القومين من خلط ومزاج.

¹ - حسين مجيب المصري: المرجع السابق، ص 77.

² - المرجع نفسه : ص 99.

الفصل الأول هدايات وإرهاصات

المبحث الثاني: أول من قال الشعر بالفارسية من الفرس.

قد أدرك الفرس القدماء أن أول من قال شعرا فارسيها هو الساساني "بهرام جور" الذي تربى بين العرب على يدي المنذر بن نعمان من المناذرة في الحيرة وحكم باسم بهرام الخامس في إيران عام (420-483 ميلادية) فيقول الرواة: إن الشعر الفارسي بدأ به.¹

ونسبت إليه أبياتا فارسية واضحة الاختراع والصنعة، حيث يقول:

مَنْ أَنْ بِيْلٍ دِمَاً وَمَنْ أَنْ شِيرِيْلَهَنَامُ مِنْ بَهْرَامِ جُورٍ وَكَنْتِيْمُ بُوْجَبْلَهْ.

الترجمة:

أَنَا ذَلِكَ الْفَيْلُ الْمُخِيفُ وَاللَّيْتُ الْهَاصُورُ كَنْتِي أَبُو جَبْلَهْ وَاسْمِي بَهْرَامُ جُورُ.

ونسب إليه من شعر عربي فمنه قوله:

أَقُولُ لَهُ: بِمَا نَظَرْتَ جُنُودَهُ كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بُصُولَاتِ بَهْرَامِ.

وَأَنْي حَامِي مَلِكِ فَارِسٍ كُلَّهُ وَمَا خَيْرُ مَلِكٍ لَا يَكُونُ لَهُ حَامِي.

كما يقال أخذ عن ابن طاهر الخاتوني من كتاب القرن الثاني عشر الميلادي، إن الشعر فارسيًا نقش في قصر شرين صاحبة الملك خسروانيروز (560-298 م) وهذا الشعر لم يزل خطه واضح إلى عهد الدولة البويهية وهو من أهل القرن العاشر الميلادي.²

وقد ذكر الفرس عددا من الشعراء أقدمهم يعود إلى منتصف القرن الثاني الهجري، بعضهم يشك في أنه قال شعرا بالفارسية، كهذا الشعر المنسوب إلى "أبي العباس الماروني" الذي كان واسع العلم بالعربية، حيث يعتبر هذا الشاعر أول من جرت الفارسية على لسانه قبل استقلال الدويلات الفارسية عن الخلافة العباسية، والذي يمدح المأمون بقصيدة فارسية يمدحه فيه :

يَا مَنْ أَسْمَيْتَ بِالْعَزِ مَفْرَقَكَ إِلَى الْفَرَقْدَيْنِ وَبِجُودِكَ وَفَضْلِكَ بَسَطْتَ فِي الدُّنْيَا الْيَدَيْنِ.

¹ - مجلة المعرفة: المرجع السابق ، ص 17 .

² - لباول هورن : المرجع السابق ، ص 41 .

الفصل الأول: بدايات وإرهاصات

إِنَّ الْخِلَافَةَ تَلِيْقُ بِكَ كَمَا تَلِيْقُ الْإِنْسَانُ الْعَيْنُ أَنْتَ لَأَرْمُ لِدَيْنِ الرَّحْمَانِ كَمَا لِلْوَجْهِ عَيْنٌ.

ومما يستحق النظر: أن هذا الشاعر يذكر في بيت تال أن أحدا لم يسبقه إلى صنيعة، مما يؤيد أنه أول شاعر فارسي مدح خليفة عربيا بشعر فارسي.¹

وهذا الشعر الذي وصلنا من بدايات الشعر الفارسي، تتضح فيه خطوات الريادة من تلمس للطريق مع ضعف واضح، حتى استقام الأمر على يد شاعر موهوب "الروودي السمرقندي" المتوفى سنة (329هـ)، فهو شاعر فارسي من أهل القرن الثالث الهجرية، يعد أول الشعراء المفلحين في التاريخ الأدب الفارسي، كما كان مليح الصوت، يحذف العزف فقد نظم شعرا يهيج الشوق، وأبيات جيادا وتغنى بها، وهو يداعب بأنامله أوتار قيثارته.

فالفرس في القديم عرفوا الشعر الموزون على قواعد وأصول، فالشعر الفارسي له بحر ووزن وقافية، وظل الشعراء الفرس عليه مدى الزمن.²

ويزعم أن زراديشث وهو أول من أنبىء الفرس، كما يسمى بكوينده وهي في الفارسية بمعنى المغني وقد تأتي بمعنى الشاعر أنه أول من قال الشعر الفارسي في سالف الدهر وصاحب تلك الأغاني المسماة "كاتا" وهي أول مثال أبقى عليه الزمان ليحتفظ به الفرس كتذكار لشعرهم، فقد حفظت هذه الأغاني في الصدور منذ عصر الساسانيين، وبلغتها بتمامها، ولقد عدت أناشيده أقدم شعر للفرس لأنها جرت على قواعد الشعر.³

قد اعتبر الفردوسي على أنه أول من قال الشعر بالفارسية، حيث يعتبر هذا الشاعر زعيم الشعر الحماسي الفارسي، من خلال كتابه حظي بشهرة كبيرة "الشاهنامه" وتعد هذه الكلمة في اللغة الفارسية و التي تعني "كتاب الملوك" أي الكتاب الذي يحتوي على أخبار الملوك و بطولاتهم و خوضهم المعارك، فبدأ يجمع كل ما يعنيه على ذلك سواء يمجده وطنه أو الأبطال الأقدمين على نظم الشعر، وبخاصة الشعر الحماسي، وذلك من خلال كلمة مكتوبة أو أسطورة شعبية تناقلها الناس فيما بينهم أو منظومة سبقه غيره إلى نظمها في

¹- حسين مجيب المصري: المرجع السابق، ص 84.

²- مجلة المعرفة: المرجع السابق، ص 18.

³- لباول هورن: المرجع السابق، ص 43.

الفصل الأول هدايات وإرهاصات

بطولات الملوك والأبطال السابقين. ويقال أنه بدأ ينظم الشاهنامه في عام 354هـ أوفي 370هـ، وأنه استمر بنظمها طوال ثلاثين عاما من العمل الدعوب والسعي المتواصل حتى أتمها، والشاهنامه تقع كما يصرح الفردوسي نفسه في ستين ألف بيت من الشعر، كما أن الشاهنامه الفردوسي لم تكتف بالحديث عن المعارك و البطولات و الحروب ، بل تضمنت كذلك قصصا عاطفية، لعب الشاعر فيها بخياله ووجدانه، فكانت كواحة يستريح في ظلها القارئ بعد أن يسير مسافات كبيرة وسط صحراء المعارك و دروب الحروب.¹

فقد اهتم شعراء الفرس بفنهم الشعري المفضل للرواية والقصص والأساطير ونظم المنظومات في أغراض شتى كالحماسة والعاطفة والوصف والمعاني والرمزية إلى غير من الأغراض التي حفل بها الشعر الفارسي.

لاشك أن تقديم نموذج صغير من الشاهنامه للقارئ أمر مثير للحيرة، فما أكثر القصص التي تحدث عنها الفردوسي والمعتقدات التي تفاخر بها كإيراني محب لتاريخ وطنه وأمه ومن بينها قصة "درفش كاوياتي" و تعني " العلم الإيراني " إذ يقول :

أَزْرُ أَنْجَرْمُكَاهُنْ كَرَانُ يَشْتُ يَأِي بِيُوشِنْدُ هِنْكَامُ زَخْمُ دَرَاي

هَمَانُ كَاوَهُ أَنْ بَرَسَرْنِيْزَه كَرْدَهْمَا نِكَهَبَا زَارُ بَرْخَا سِتْ كَرْد

الترجمة:

"لقد صنع من تلك المرقعة الجلدية التي يحتمي بها الحدادون، ويلبسونها وقت طرق الحديد؛ فما أن أرفعها كاوه على رأس حربة ، حتى تعالت الهتافات في السوق ".²

ويقول أيضا :

خُرُوشَانُ هَمِيْرَفْتُ نِيْزَه بَدَسْتَكِيْهَائِي نَامِدَارَانُ يَزْدَانُ پَرَسْت

كِسِيْكِيْه هَوَائِي فَرِيْدُونُ كَنْدُ سِرَا زُ بَنْدُ ضَحَاكُ بِيْرُونُ كَنْدُ

¹ - بديع محمد جمعة: من روائع الأدب الفارسي، دار النهضة العربية - بيروت - ط2، 1983، ص 191- 192.

² - المرجع نفسه : ص 194.

الترجمة:

فَمَضَى صَائِحًا وَالْحِرْبَةَ فِي يَدِهِ وَأَخَذَ يُرِيدُ أَيُّهَا الْأَخْيَارُ الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

لِيَتَحَرَّرَ مِنْ رَقَبَةِ الضَّحَاكِ كُلِّ مَنْمِيْلٍ إِلَى أَفْرِيدُونَ وَيَهْوَاهُ.

ومع ما خطيت به الشاهنام هو الفردوسي من مكانة كبيرة ومنزلة سامية، فقد قال "إدوارد براون" لاشك أن شهرة الفردوسي في قول الشعر راجحة إلى نظمه للشهنامه ويكاد الناقدون و الغربيون يجمعون على الإعجاب بهذه الملحمة الهائلة¹.

ويقول "محمد بن مخلد السكزي" وهو الذي يزعم أنه أول من قال الشعر بالفارسية يمدح يعقوب ابن ليث عمار الخارجي يقول:

فَخَرُّ كَنْدَ عَمَارٍ رُوزُ بَزْرَكُوهَا نَمِ مِنْ كِهْ يَعْقُوبُ كَشْت

الترجمة:

أَنَّ عَمَارَ سَيَفْتَخِرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُمْ نَقَلَهُ يَعْقُوبُ .

قد أصبح من المتعارف عليه في الآداب المقارنة أن لقب شعراء الرباعيات يطلق على شعراء الفرس الذين اهتموا بهذا الضرب من النظم، وجاءت أشعارهم في هذا الفن ويأتي على رأس هؤلاء الشعراء "عمر الخيام" الذي ذاعت شهرته وسميت منزلته بما فاضت قرائحه الفارسية خصوصا، والذي قل من الشعراء في شرق أو غرب من نال من بعد الصيت و نباهته².

إن اسمه مقترن بالأدب الفارسي و علم عليه عند جمهرة المتأدبين، ففي شعره الفارسي يتهافت فيه على مفاتن الدنيا ويتمسك بكل برهة من عمره ليستوفي خطه من المتعة والبهجة قبل أن تأذن حياته بوداع ، كما أنه ناسك و ليس بفاتك، مهتد يهدي الضالين ويعظ الآثمين: والخيام الذي يقول :

¹ - بديع محمد جمعة: المرجع السابق ، ص 195.

² - حسين مجيب المصري: المرجع السابق ، ص 120.

الفصل الأولهايات وإرهاصات

مَتَى دَانَتْ دُنْيَاكَ كَانَتْ مُصِيبَةً فَوَاجِبِي مَن ذَا الْقَرِيبُ الْمُبَاعِدِ

إِذَا كَانَ مَحْصُورَ الْحَيَاةِ مَنِيَّةً فسيان حَالاً كُلَّ سَاعٍ وَ قَاعِدُ

و يقول الخيام في رباعياته: أن دينه و الضرب صفحا عن الكفر والدين، و إن دأبه ودينه ترشق صهباء و منادمة الحسناء .

فشعراء الرباعيات كانوا يقولون كل رباعية في مناسبة خاصة بها، ويشترط في الرباعية وحدة القافية في المصارع الأول والثاني .

فقد حفل الشعر الفارسي برباعيات في التصوف والحكمة والغزل، لم يكن الخيام يعتبر نفسه شاعرا بالمعنى الذي كان سائدا في عصره فلم يكن يتخذ من الشعر وسيلة للتكسب أو التقرب من ملك أو أمير، بل كان الخيام يقول الشعر لنفسه ولبعض الصفاة من أصدقاءه بعد ذلك، فكان شعره للمتعة في أوقات الفراغ و من قوله¹:

بَرِّخِيزُ بَتَا ، بِيَارُ بَهْرَ دَلِّ مَا

حَلِّ كَنْ بَجَالِ خُوَيْشْتَنْ مُشْكِلِ مَا

يَكْ كُوزَه شَرَابِ تَابُهُمْ نُوشِ كَنِيمِ

زَانِيِشِ كَهْ كُوزَه هَا كِنْدَا زَكُلِّ مَا

و المعنى يقول :

هَيَا أَيُّهَا الْحَبِيبُ الصَّبُوحُ وَتَعَالَ رَأْفَةً بِقُلُوبِنَا.

وَلِتَحُلْ بِجَمَالِكَ الْفَتَانُ جَمِيعَ مَشَاكِلِنَا.

تَعَالَ كَي نَنَعَمَ مَعَا وَلَوْ بِكَأْسٍ وَاحِدَةٍ.

قَبْلَ أَنْ تَصْنَعَ الْكُؤُوسِ مِنْ طِينِنَا.

1- بديع محمد جمعة : المرجع السابق، ص 217.

وقد حاول الفرس المعاصرون بعد انتشار الروح القومية بمعناها الغربي في أقطار الشرق الإسلامي، أن ينفقوا التأثير العربي مع وضوحه نفياً تاماً، فنجد كتب الأدب طافحة بمحاولات يائسة تسعى جاهدة لطمس هذه الحقيقة، وملخص هذه الحجج: هو أن كتب الفرس قبل الإسلام وجد فيها الشعر كبعض القطاعات في كتاب "الإبستاق" في الأقسام التي يظن أن زرادشت في المجوس قد نظمها، وكذلك بعض الكتب الفهلوية ككتاب "درخت أسوريك" وغيره. كذلك يستندون إلى وجود الموسيقى والغناء الراقيين عند الفرس لارتباط الغناء بالشعر؛ يستدلون ببعض الشعر الشعبي وهم يعترفون أن هذا الشعر لم يكن مقفى موزوناً كالشعر العربي، بل هو شعر يقوم على عدد المقاطع.

فكتاب "الإبستاق" لم يكتبوه على هيئة توحى بأنه شعر، وإنما هو فرية اخترعها المستشرقون من عند أنفسهم في القرن التاسع عشر، فحذفوا بعض الكلمات الزائدة التي نسبوا زيادتها إلى جهل الموازنة أي: "كبار رجال الدين الزر دشي" في استنتاجهم كتاب الإبستاق حتى استقام لهم كلام متوازن فسموه شعراً. ثم إن هذه المعاني التي ترد في هذا الكتاب دينية محضة وليست من موضوعات الشعر¹.

ضف إلى ذلك أن معرفة الفرس الشعر المنظوم المقفى عن طريق العرب، هو أن الشعوبية في العصر العباسي افتخرت بمآكل و مشارب، ولم تستطع من هذه المسألة فتزعم أن لها شعراً، بل هم مقرون بفضل العرب في إعطائهم هذا الفن و يوضح هذا أيضاً خلو اللغة الفارسية من كلمة شعر أو شاعر بل يستعملون نفس الكلمتين العربيتين منذ أن عرفوا الشعر العربي وقد يستعمل متعصبة الفرس في أيامنا ترجمات مضحكة لكلمتي شعرونثر، مما يقع كل شك في هذا الموضوع، أن الفرس لم ينقلوا لنا اسم شاعر واحد من أسماء شعرائهم قبل الإسلام، إذ من المحال أن تنسى أمة لها شعراً وشعراء².

¹ - مجلة المعرفة: المرجع السابق، ص 18.

² -: المرجع نفسه: ص 19.

الفصل الأول هدايات وإرهاصات

المبحث الثالث: تتلمذ الفرس على يد العرب.

من الواضح أن الفرس لم يعرفوا الشعر بمعناه الحقيقي إلا بعد تتلمذهم على يد العرب في هذا الفن، وهذا أمر لم يكن يناقش فيه أحد، حتى شعوبية العصر العباسي، ولم تنشأ هذه الدعاوى إلا عند متعصبة الباحثين المعاصرين، بل إن القدماء قد اعتبروا الشعر ميزة خاصة بالعرب، فهذا الشاعر "ناصر خسرو" (394-481هـ) الرحالة والداعية الإسماعيلية يذكر في قصيدة له خصائص بعض الأمم فيقول:

عَرَبٌ بُرُوه شِعْرَ دَارِدٍ سَوَارِي بِرَشْكِ كَزِيدٍ نَدَّ مَرْدَانُ يَزْنَ.

رَهْ هِنْدٌ وَأَنْ سِوَى يَنْرَتَكَ وَأَفُونُ رَاءَ رُومِيَانِ زَى حَابِسْتُو الْجَانِ .

فيجعل الشعر للعرب، والطب لليونان، وللهند العزائم، وللروم الحساب والموسيقى وليس هذا الأمر عجباً، فقد تنفرد بعض الأمم بجنس أدبي ضمن ظروف خاصة بها كالمسرح مثلاً الذي نشأ و تكامل في اليونان، حتى أصبح فنا قائماً بذاته، فالشعر الغنائي العربي هو شعر واضح السمات و المعالم، في مضامينه وطريقة تركيب القصيدة فيه وفي وزنه الذي يعد أكمل نموذج معروف بالتنوع والاطراد، فالعرب وإن كانوا ساميين، فقد انفردوا من بينهم بهذا الفن الأدبي، حتى لا يمكن مقارنة الشعر السياسي بالشعر العربي ذلك أن الأشعار العبرية قبل أخذهم أصول الشعر العربي، والآرامية لا تستطيع أن نعدها شعراً بهذا المعنى، لأنها ضرب من الكلام المتوازن، كما أنها تنحصر في معان دينية¹.

فمن المعروف أن هؤلاء الفرس قد أقبلوا على تحصيل الجانب الأدبي من الثقافة العربية فأصبح المئات و الآلاف منهم يحفظون الشعر العربي وظهر بين الفرس من نظم الشعر العربي والكتب والرسائل بالعربية، ولا ينبغي أن ننسى المحافل الأدبية المهمة بالأدب العربي في بلاد الفرس مثل محفل الصاحب بن عباد الذي أعزم بالأدب العربي عزاماً لا نظير له، والذي ألف كتبه بالعربية، فرحلة المتنبي إلى بلاد فارس كانت ثمرة هذا الحب والكلف بالأدب العربي، فقد ترفع عن المدح الصاحب في زيارته لإيران، ومن هذا نعلم أن الفرس قد تابعوا الثقافة العربية في آخر أشكالها، بل إنهم أولى المعاصرين لهم من

1- مجلة المعرفة: المرجع السابق، ص 20 .

الفصل الأول: إلهاديات وإرهاصات

الأدباء العرب اهتماما، فمثلا الثعالبي من خلال تأليفه كتاب "يتيمة الدهر" يؤرخ للشعراء العرب و للفرس ممن قال الشعر العربي، "وإن نظرة واحدة على عدد الشعراء من الفرس الذين قالوا الشعر بالعربية، يكفي للدلالة على تعلق هؤلاء القوم بالأدب العربي والثقافة العربية".

إن هذا التلمذ للعرب، والتدرب في قول الشعر على منحاهم، لا بد أن يترك أثرة في أذهان الفرس وفي عقولهم، وقد أتى هذا ثماره، فبدأ بعض الفرس في قرض الشعر الفارسي على منوال الشعر العربي¹.

وقد بلغ قمة التأثير العربي، في شاعر فارسي أحب الشعر العربي فقلد أشكاله فذكر الأطلال ووصف الرحالة، هو الشاعر "المنوجهري" هو أبو النجم أحمد بن قوص بن أحمد، المتخلص بمنوجهر من مواليد دامغان بفرس، وتوفي في شبابه 432هـ. فالطبيعة الخلابة ومجالس الخمر كانا ملهمين في شعره، ولقد اشتهر بمزجها معا في شعره، ويلقي ضالته وجدانيا، مما يدل على أنه تملى جمالها و مجالسها في شبابه ما عبر عنه في شعره بأدق تعبير².

ويؤخذ من أشعاره أنه كان على اطلاع واسع بالثقافة العربية وكان متمكنا من اللغة العربية وكان مع مهارته في الشعر متمكنا من بعض العلوم كالطب والنجوم وعلوم الشريعة الإسلامية، وقد ترك ديوان شعر يحتوي على ثلاثة آلاف بيت باللغة الدرية بطهران حوالي سنة 1880م. حيث تميز هذا الشاعر بالشعر الغنائي في هدوئه وعنفه وبساطته العميقة وفي رفته وعظمته، كما نجد أن المديح عنده أخذ الحيز الكبير من شعره ويجمع أغلب الباحثين على تسميته شاعر المديح فمزج في مدائحه بين الممدوح والطبيعة وقد تكون الطبيعة عنده حية أو صامتة وهي صورة كثيرا ما عرفت عند العرب قبله ومن الأمثلة الشعرية عند منوجهري ما معناه:

¹ - مجلة المعرفة: المرجع السابق، ص 22-23.

² - علي الشابي: الأدب الفارسي في العصر الغزويني، دار الثقافة للنشر، (د.ط)، 1965، ص 181.

الفصل الأول هدايات وإرهاصات

" لكأني أرى في طلعة الخواجة الجميلة ربيعا مزدهرا طلقا يتألف في شهور سبتمبر ولا تفسده الرياح الخريف العاتية " .

والأثر العربي في الصور والتشبيهات والمعاني والمضامين لا تكاد تخلو منها القصيدة في الفارسية هذا لأن الشعر الفارسي ظل يستقي من معين الشعر العربي طوال عهده بل قد طوى بعد ذلك مراحل التي طواها الشعر العربي، فانحدر بانحدار الشعر العربي حيث تأثر الفرس بالكتابة العربية، لأنها كانت أطوع في أيديهم من اللغة الفارسية التي تعوزها المصطلحات العلمية، كما أن الكتابة بالعربية يضمن للكتاب ذبوع عمله وانتشاره وقلما انتبه هؤلاء للكتاب الفارسية¹.

وقد بدأ الاهتمام بالكتابة الفارسية عندما تعاضم أمر الإسلام في بلاد الفرس وتقلص نفوذ المجوس تقلصا كبيرا بحيث غدا كل شيء، فعندئذ التفت العلماء وبعض الأمراء إلى ضرورة العناية بهؤلاء الذين لم تتح لهم الظروف تعلم العربية، لذلك بدأت هذه المحاولة في صورة الترجمة، فبدئ بترجمة تفسير الطبري بعد موافقة عدد كبير من الفقهاء ثم ترجم تاريخ الطبري. وهكذا اعتبرت هذه الترجمات اللبنة الأولى في صرح الكتابة النثرية الفارسية².

واستخدم الفرس الخط العربي مع إضافة بضعة حروف لوجود لها في العربية لتؤدي أصوات خاصة بالفارسية وحدها دون العربية، كما أنهم في النطق بالألفاظ العربية نطقوها بحروف خاصة، فجعلوا "الحاء" هاء و"التاء" سينا و"الطاء" تاء، وكتبت الفارسية في بعض لهجاتها بالخط العربي كاللهجة الصدغية في ماوراء النهر وكان خطها مشتقا من أصل سامي كالخط الفهلوي، وقد ظهرت المؤلفات بها في ثلاثة قرون الأولى من الهجرة، وكتبت الفارسية في لهجة خوارزم بخط عربي، حيث دخل الفارسية كثير من الألفاظ العربية ومنها ما يتعذر وجودها فيها مثلا: كالمسلم والكافر والمنافق والزكاة والمحراب والطلاق واليتيم والقرآن.... وغيرها، فهذه الألفاظ دخلت الفارسية ولم يكد الفرس في استخدام ألفاظ فارسية

¹- يوسف بوجلة : مذكرة ماجستير : "تأثر الأدباء الفرس بالأدب العربي في القرون الإسلامية الأولى ، الشاعر منوجيري نموذجاً" ، جامعة الجزائر ، كلية الآداب واللغات ، (2006-2007) ، ص 84 .

²- مجلة المعرفة : المرجع السابق ، ص 25.

الفصل الأولهايات وإرهاصات

عوضا منها، مما يذكر أنها في الفارسية تجرد من "أل" التعريف، وتصبح التاء المربوطة تاء مفتوحة في اللغة الفارسية.¹

كان نصيب الفارسية من الألفاظ العربية أكبر وأعظم وكونت هذه الألفاظ جانبا ضخما من مفردات اللغة الفارسية، حتى كادت أن تكون كلها عربية، حيث كان تأثير اللغة العربية واسعا في الفارسية. قد تغيرت الحروف التي كانت تكتب بها اللغة الفارسية، فتخلت عن الخط القديم وأصبحت تكتب بالعربية وأقبل الفرس على الخط العربي بحروفه السهلة، وهي الحروف التي كتب بها القرآن الكريم، وبذلك هجر الفرس الكتابة الفهلوية بحروفها المعقدة التي يصعب تعلمها، فقد عرب عن الفارسية ألفاظ ومصطلحات فيما بينهم نذكر طائفة منها:²

اللفظة الفارسية	اللفظة العربية المعربة أو الدخيلة
نركس	نرجس
كل نار	زهر الرمان
بنفشه	البنفسج
مشك	المسك
آب	الماء
ملة	الدين
بوستان	بستان
برنامج	برنامج
كاك	الكحك

¹ - مجلة المعرفة : المرجع السابق : ص 26 .

² - سامي يوسف أبو زيد: الأدب المقارن " المنهج والتطبيق "، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، (د.طبت) ، ص 134 .

المبحث الرابع: التوأمة بين اللغتين:

إن الحديث عن اللغة العربية هو حكم من الأحكام القائمة التي يلم بها وبحيثياتها إخوانها أدباء العرب إماما يسهل على المتحدث مهمته، فهي لغة الفرقان التي بلغت من النضج والكمال درجة استيعاب كلمات الله التامات واحتضنت القرآن احتضان الوردة للعطر ينبئ عن قدرة الربيع، فاستوعبت كل معانيه ومضامينه الظاهر منها والباطن الحقيقي منها أو المجازي وعبرت الأذن والقلب والروح، فموسيقى ووقعت ورسمت ولونت وحركت وسكنت وجسدت وأبكت وأضحكت ولم تترك في الإنسان وترا لم تعزف عليه أغنية خشعت لها القلوب وصحت على أنفاسها الأعماق الغافلة تدرج من اللائقين إلى علم اليقين. فماذا يقول قائل في لغة القرآن "اللهم إلا أنها لغة القرآن" وأما طفولتها فقد كانت تبنى بهذه النجاسة فهي تمتاز بوجه خاص، فالحكم على نضج العربية كوسيلة قادرة على التعبير في حد من الغنى لا يحتاج إلى مزيد من الحيثيات¹.

فقد وجد الفرس مس الحاجة إلى معرفة العربية لأنها لغة القرآن الكريم والحديث الشريف وأحكام دينهم الجديد الذي دخلوا فيه أفواجا و أقضى ذلك بلغتهم الفارسية إلى أن تنكمش في صدور قلة من أهل البلاد، تعتبر محدودة ضئيلة إذا قيست بالكثرة الكارثة².

وكان الفارسي المتعلم حتى في الزمن المتأخر مندفعاً إلى التحرير بالعربية مباحة منه بالتطلع من لغة صعبة، مما يرفع منزلته ويذيع شهرته ويدل على أنه يفهم القرآن حتى الفهم ويشير إلى أنه من أهل التقوى كما يمهد سبيله إلى تبوء المناصب في الدولة؛ ويؤيد الثعالبي جانباً من هذه الدعوى بقوله "إن اللغة العربية نزل بها أفضل الكتب على أفضل العرب و العجم ومن هداه الله للإسلام و شرح صدره للإيمان اعتقد أن العربية خير اللغات و الإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي مفتاح التفقه في الدين وأداة العلم وسبب إصلاح المعاش والمعاد ولم يكن التبخر فيها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن وإثبات النبوة لكفى بهما فضلاً وبذلك شاعت العربية وذاعت وأصبحت اللغة الرسمية إلى كونها لغة الدين

¹ - مجلة المعرفة : المرجع السابق ، ص 30.

² - حسين مجيب المصري : المرجع السابق ، ص 79.

الفصل الأول هدايات وإرهاصات

والعلم والأدب وقد أحب الفرس العربية وتعلموها وحذقوها وحرصوا على الإسلام أشد الحرص؛ فانتشار العربية وتوطدها في بلاد الفرس أن هذا من حالها دام حتى بعد نشأة الإمارات الفارسية التي بعثت قومية الفرس بالخروج على الخلافة العباسية وإخضاعها لسلطانها، وأحيت اللغة الفارسية وآدابها على أن ذلك أهم مظهر من مظاهر السيادة الفارسية واستيراد الفرس لكيانهم الحضاري، غير أن الفارسية لم تكن لتقوى على الوقوف إلى جانب العربية وقفة الند المنافس فضلا عن أن العربية ظلت أساسا متينا ركيزا للثقافة وكان العلم بها أمرا لا غنى عنه لكل من أدركته حرفة الأدب، وأصبحت لغة العلماء ولأدباء من الفرس وكان المعبرون بها أكثر عددا من المعبرين بالفارسية بما لا مجال فيه للمقاييس وبذلك مست الحاجة إلى وضع التفسير القرآنية وتقعيد الحديث مخافة ضياعه، ومعرفة الأسانيد وتعديل الناقلين، وأصبحت العلوم الشرعية ملكات في الاستنباط والاستخراج والقياس، واحتاجت إلى علوم أخرى هي وسائل لها، وبذلك اشتغل الفرس بالعلوم لأنهم اختلطوا بالعرب واتخذوا العربية لغة لهم واضطروا لدراستها لإجادتها، بدليل ذلك الخبر المشهور الذي يروى في نشأة علم النحو وما ينطبق على علم النحو يمكن انطباقه على غيره من العلوم. والمشاهد أن دارسي اللغة من غير أبنائها يولونها من العناية بتفهم أصولها و تذوق أدبها وكتناه روح ثقافتها ما قد يوليه معظم أبنائها، فكان ذلك باعثا قويا دفع الفرس على التأليف والتصنيف الإحاطة بالأصول والفروع¹.

تعتبر اللغة الفارسية ثاني لغات العالم الإسلامي لا يتقدم عليها إلا العربية، لكونها لغة القرآن، إذ نشأت هذه اللغة في حضارة العربية تحت تأثيرها الشديد ومن أهم مظاهر هذا التأثير، كتابة اللغة الفارسية بالخط العربي و كثرة الألفاظ العربية في الفارسية .

إذ تعد هذه اللغة هي لغة آرية من مجموعة اللغات الهندوأوروبية، وهذه اللغات واسعة الانتشار في الهند و أوروبا².

¹ - حسين مجيب المصري : المرجع السابق ، ص 80 - 82.

² - مجلة آداب البصرة : "أثر المقامات العربية في الأدب الفارسي " ، (جامعة البصرة) ، ع: 49 ، 2009 ، ص 31.

" فلم تمت اللغة الفارسية من اللغات الهلينية أو القبطية مثلا، بل لقد استفادت من اللقاء إلى بعد الحدود، وهذا يرجع إلى عاملين أولهما أنها كانت لغة قوية غنية، استطاعت بما لديها من إمكانيات وتراث أن تقنع العربية بشخصيتها، وثانيهما أنها تلقت العربية بالحب الذي تلقى به الإيرانيون العقيدة الإسلامية، فنقول لقد جرت عادة علماء اللغات على تقسيم هذه اللغة التي تعتبر في أصلها فرع من اللغة الهندوأوروبية إلى ثلاثة أدوار :

(أ)- دور الفارسية القديمة: وتعرف باسم "باريسي باستان" وتكتب بالحروف المسمارية أي حروف شبيهة بالمسمار تنقر على الأحجار وقد عثر على بقاياها من منقورات حجرية في نواحي بيستون والوند، سجل بها الملوك الأخمينيون آثارهم وفتوحاتهم والشعوب التي حكموها .

(ب)- دور اللغة الأوستائية: وهي لغة " الأوستا " وهي قريبة الشبه بالفارسية القديمة وقد وصلت إلينا عن طريق الكتب وهذه الأخيرة في حد ذاتها تجمع بين الناحيتين الدينية والأدبية، إذ أن البعض من أقسامها يمتاز بروح أدبية وأساليب فصحة، وخاصة في مواضيع الحمد والشكر لله ووصف الطبيعة . والأوستا تجمع بين النثر و الشعر الموزون المقفى، كما يتجلى ذلك في " كاتها " الذي يعتبر أقدم فصل من فصول الأوستا، فكلما " كاتها " تعني النشيد . وكان الشعر في ذلك الوقت يقوم على أساس الوحدة الصوتية أو المقطع ، والبيت يتكون من مصراعين و تتفاوت المصاريح في عدد الوحدات الهجائية، حيث أن هذه الأناشيد كانت تغنى وترتل في المعابد و المحافل الدينية والاحتفالات الملكية ولا زالت هذه اللغة موجودة وموضع اهتمام علماء اللغة¹.

(ج)- دور اللغة البهلوية أو الفهلوية : هي عبارة عن امتداد الفارسية القديمة التي تطورت على مر الزمن، وتنقسم إلى الإشكائية والساسانية حيث تندرج هذه الأخيرة مع إحدى اللهجات السائدة في البلاط في جنوب إيران وتنقل من هنا إلى خراسان وتكون اللهجة الدرية هي اللغة السائدة و دامت حتى اليوم،فالتراث الأدبي لهذه اللغة هو ما كتب بها الكتب الدينية والعلمية والأدبية في شكل القصص والحكايات،وقد فقد منها الكثير إلا أن المراجع

1- مجلة المعرفة : المرجع السابق ، ص 31 - 32 .

العربية والإيرانية القديمة تشير إلى الكثير من أسماء هذه الآثار ومن بينها كتب علمية وفلسفية كانت موجودة في العصر الساساني وخاصة عصر أنوشروان، حيث قامت نهضة فلسفية اجتماعية في ذلك العصر ونقلت العلوم من السنسكريتية إلى البهلوية، واتسمت ثقافة إيران وألفت كتب قديمة في الأخلاق والاجتماع وغيرها من المصادر العربية إلى أسماء بعض الكتب، ونقلت عنها وترجمتها "كالمحاسن والأضداد والأدب الكبير والصغير"، ولا يمكن تجاوز هذا المجال دون أن ننوه بالكتاب الشهير "كليلة ودمنة" الذي ترجم عن السنسكريتية إلى الفهلوية وترجمه منها إلى العربية ابن المقفع، وعند تلاقي اللغة الفهلوية بالعربية كانت لغة سائدة في نطاق الدولة الساسانية كلغة للدين والعلم وتمتعت بتراث روحي عظيم وآثار أدبية بين الشعر والنثر في مختلف الصور والأشكال مثلا من الأغنية إلى القصة، وغيرها من النتائج الفكرية التي تداولتها اللغتان فيما بينهما.¹

فما وفت الألفاظ الفارسية القديمة بحاجة الحياة الجديدة، لأن عباراتها عبرت عن معان سياسية ودينية وفارسية محضة، عجزت عن مجازاة العربية في قدرتها العجيبة على الاشتقاق، والتعبير الذي يعتبر أكثر دقة وأوضح إبانة من تعبيرها ولذلك تسربت إلى الفارسية ألفاظ عربية وكان تسربها بطيئا متواصلا، مما أفضى إلى امتزاج اللغتين وقد زاد تأثير الفارسية بالعربية في نهاية العصر.²

ومن هنا يمكن القول أن التقاء اللغتين على مستوى العقيدة الواحدة، قام على أساس الدين الإسلامي الذي ينفذ إلى قراره الحياة الأدبية الفارسية، وذلك لأن الأمة الإيرانية تلقت اللغة العربية كما تلقت الدين سواء بسواء ومعظم هذه الأمة تعلم اللغة العربية كأنها وسيلة ينتهي بها إلى باب الرب الرحمان، لا على أنها لغة قوم غالب يجب الإقتداء بهم، وعلى هذا فلم يكن بين الفارسية والعربية ما بين العربية واللغات الأخرى، وبقدر ما كانت الفارسية محتاجة إلى العربية من ناحية العقيدة، كانت العربية محتاجة إليها من ناحيتها الاجتماعية والثقافية أو نظام الحكم ومصطلحاته. ولهذا تم التواءم بين اللغتين، وعلى هذا أثر كل من اللغتين في الأخرى تأثيرا ظاهرا ملموسا من تعدد الكلمات في الترتيبية والعكس، فكان على كل شاعر أو

¹ - مجلة المعرفة : المرجع السابق ، ص 33.

² - حسين مجيب المصري: المرجع السابق ، ص 88.

الفصل الأولهايات وإرهاصات

أديب أن يلم بالصرف والنحو العربي إلماما تاما وأن يحفظ كثيرا من الشعر العربي حتى يكون أساسا لعلمه الأدبي¹.

"فالعربية والفارسية كانتا في كفتي الميزان، إن راجحت إحداهما شالت الأخرى، فمنذ عهد الخلفاء الراشدين إلى عهد السلطان محمود الغزنوي، كان تدوين أوامر الدولة والرسائل الديوانية بالعربية وذلك أن الإمارات الفارسية التي قامت في إيران هي التي ازدهرت الفارسية فيها، وتأتى لها أن تصبح لغة أدب لها كيانها الخاص بها، غير أن العربية مع هذا كله لم يضعف شأنها، بل كان لها الرجحان على الفارسية من حيث كونها لغة تأليف وتصنيف والإنتاج الأدبي فيها أكثر من الفارسية بما لا مجال فيه.

ومن هنا يمكن عرض بعض البلغاء المعروفين بأصحاب اللسانين، وذلك لأن منهم من كان اهتمامه بإحدى اللغتين أكثر من الأخرى ومن بينهم الأمير "قابوس" الذي كان يقول الشعر بالفارسية والعربية، كان منقطع النظير في علو همته وكرمه وأدبه.

فالعربية بلغت الأوج عند الفرس، حتى استحال عقلا وواقعا أن يفصل بينها وبين الفارسية في ثقافة كل من أخذ نفسه بتحصيل العلوم أو حرث الآداب، وبذلك كانت نسبة آداب الفرس إلى آداب العرب نسبة الأمثال إلى الأمثال والأشباه إلى الأشباه"².

¹ - حسين مجيب المصري: المرجع السابق : ص 89 - 90 .

تم-هيد:

مجنون ليلي شخصية إسلامية من شخصيات القرن الأول للهجرة، وشاعر من الشعراء البادية في تلك الحقبة من التاريخ التي ازدهر فيها الغزل العذري على يد شعراء وقفوا حياتهم على حب واحد يتغنون به في عفة، ويصدرون فيه عن عاطفة حارة وحرمان متصل، حرمان أشبه ما يكون بهذا الحرمان الإرادي الذي تعمل الإرادة على تغذيته من وقت لآخر".¹

"فقد اشتهرت قصة" ليلي والمجنون "في الأدبين العربي والفارسي بشخصيات متعددة من بينها العاشقان ليلي وقيس.

1 -قيس بن الملوح: بن عامر الملقب بالمجنون، شاعر غزل عربي من أهل نجد عاش

في فترة الخلافة مروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان في القرن الأول من

الهجرة في بادية العرب، الذي كان يهوى ابنة عمه وهما صبيان .

2 -ليلي: بنت مهدي بن سعد بن مهدي بن سعد بن ربيعة بن الحرش بن عامر بن

صعصعة، التي أحبت قيس وهما صبيان صغيران كانا يرعيان الإبل، وهي ابنة عم

قيس.

3 -والد ليلي: وهو عم قيس، ويمثل القسوة و الحقد على قيس، ويبقى على قسوته حتى

يموت العاشقان.

4 -والد قيس: وهو الأب العطوف الذي يبذل كل ما في وسعه، ليحقق الأم عن ابنه

مستعظفا مواسيا له.

5 -الأمير نوفل بن مساحق : عامل الخليفة على الصدقات، الذي وعد قيس بأن يساعده

في الظفر بمحبوبته، لكنه لم ينجح في مسعاه .

6 -ابن سلام : وهو زوج ليلي".²

¹ - محمد زكي العشماوي: المسرح أصوله واتجاهاته المعاصرة " دراسة تحليلية مقارنة " ، دار النهضة العربية – بيروت – (د.ط.ت) ، ص341.

² - داود سلوم : الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ط 1، (د.ت) ، ص

المبحث الأول: ليلي و المجنون في الأدب العربي:

نشأ "قيس بن ملح" من "بني عامر" و "ليلي بنت مهدي" في بيت من ثراء كان وهو في ما يبدو من قبيلة أرفع شئنا من قبيلاتها ، كان فتى جميلا أديبا يحفظ أشعار العرب و يكثر من روايتها وقد أحب قيس ليلي منذ كان صغيرين يرعيان البهم أو الإبل وظل الحب ينمو بينهما، وكان من اليسير أن تمضي الأمور كما يحلو بين الحبيبين بعدما كبرى لولا أن الفتى غلبه الحب فأنساه ما كان يجب عليه من احترام التقاليد العربية فقد أشار قيس إلى قدم حبهما بقوله:¹

تَعَلَّقْتُ لَيْلَى وَهِيَ غَيْرُ صَغِيرَةٍ وَلَمْ يُبَدِّ لِأَثْرَابٍ مِنْ تَذْيِهَا حَجْمٌ

صَغِيرَيْنِ نَرَعَى الْبِهْمَ، يَأْلَيْتَ أَنَّنَا إِلَى الْيَوْمِ لَمْ نَكْبُرْ وَلَمْ تَكْبُرِ الْبِهْمُ

ويعني هذا أن قيسا ضاق قلبه و صدره عن كتمان حبه فباح به شعرا يجري على لسانه، وحرمان وجدانه فقد اضطر في تسريح اسمها في أشعاره حيث نظم فيها العديد من القصائد الجميلة وقد ردت عليه من خلال هذين البيتين بقولها:

كِلَانَا مَظْهَرٌ لِلنَّاسِ بُغْضًا وَكُلُّعُنْدَ صَاحِبِهِمْ كَيْفٌ

تُخْبِرُنَا الْعُيُونُ بِمَا أَرَدْنَا وَفِي الْقَلْبَيْنِ ثَمَّ هَوَى دَفِينٌ

وقد سمع الناس هذه الأشعار فتنقلوها، حيث أصبحت ليلي وحبها حديث الناس في كل مكان وتردد اسمها على الألسنة و في المنتديات، و أذاع الفتى بلسانه و أشعاره ما كان يجب أن يحفظه و عارض حبيبته لما لا يحسن تعريضها له و عرف الناس جميعا ما كان من أمها مع حبيبها، ولهذا أثار أهلها ثورة شديدة على قيس الذي أساء إلى الفتيات و أساء إلى أهلها فاق د حجت عنه و منعت من رؤيته و نتيجة هذا الحرمان فقد اضطربت أحوال قيس و اختل توازنه، فتقدم والده لخطبتها له ولكن والدها وهو عم قيس يمثل القسوة و الحقد عليه فرفض الزواج نزولا على تقاليد البادية.²

¹- طه ندا : الأدب المقارن ، دار النهضة العربية ، (د.ط.ت) ، ص 161.

²- المرجع نفسه : ص 162.

والمعنى في ذلك أن من عادات العرب تقضي بعدم تزوج الفتاة من الفتى تشبب بها وحرمانه منه، ورفض هذا الطلب تمشيا لما تقتضيه التقاليد وخوفا من العار، على الرغم من أن ليلي دون قيس شرفا وجاها وأنها ما كانت لتطمح في مثله .

فأمام هذا الرفض ازدادت حالته سوءا وذهولا، حيث كان قيس لا يبأس من لقاءها ويحتال على ذلك بأساليب كثيرة فمنها كان يأتي بحبها في غفلة من أهلها ليلقاها، ومنها أنه كان يتخذ الرسل بينهما ليعرف أخبارها حين يصعب لقاءها، ومنها أنه أوفد إليها أمه تستميلها وتشرح لها ما أصاب ولدها من عشق، ومنها والده العطوف الذي يبذل كل مافي وسعه ليحقق أمله ويتبعه إلى الخلوات، مستعظفا مواسيا وأن يسري بأن يزوجه فتاة أخرى تفضل ليلي حسنا وجمالا، فرفض قيس الاقتران بأن فتاة غير محبوبته ليلي وقال في ذلك: وَقَالُوا لَوْ تَشَاءُ سَلَوْتُ عَنْهَا فَقُلْتُ لَهُمْ فَإِنِّي لِأَشَاءُ

وَكَيْفَ وَحُبُّهَا عُلِقَ بِقَابِي كَمَا عُلِقَتْ أَرِيشَةُ الدَّلَاءِ

الأريشَةُ: جمع الرشاء، وهو الحبل

وكثيرا ما كانت ليلي تعد بالزيارة واللقاء ولكنها مع ذلك لاتوفي بما وعدت لأن الظروف لم تكن تعينها، حيث ضاق أهل ليلي بهذا العاشق ومحولاته المتكررة للقاء بحبيبته، فقرروا أن يبتعدوا ويرحلوا عن ديارهم.¹

فظل قيس يمشي الحي ويقول: "الموت أروح لي، فارتحل أهل ليلي وأبعدوا، وجاء المجنون عشية، فأشرف وقصد منزل ليلي الذي كان بيتها فيه، فألصق صدره به وجعل يمرغ خديه على ترابه، ثم أنشأ يقول:

أَيَا حِرْبَاتُ الْحَيِّ حِينَ تَحْمَلُوا بِذِي سَلَامٍ لَا جِدْكَ نَ رَبِيعُ

خَيْمَاتُكَ اللَّائِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى بَلِيْنٌ بَلَى لَمْ تُبْلِهِنَّ رُبُوعُ

نَدِمْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنِّي نَدَامَةً كَمَا يَنْدَمُ الْمَعْبُونُ حِينَ يَبِيعُ

¹-رامي فواز أحمد المحمودي : النقد الحديث والأدب المقارن ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2008 ، ص 137.

فَقَدْتُكَ مِنْ نَفْسِي مَعَ فِائِنِي نَهَيْتُكَ عَنْ هَذَا وَأَنْتِ جَمِيعُ

ثم بدأ قيس يهيمفي الحي، ويهمل نفسه فرآه عمر بن عبد الرحمان بن عوف عامل بن الحكم على الصدقات فرق له و خرج معه إلى قوم ليلي يوسط لديهم، غير أنهم أخبروه بخبره وأن السلطان قد أهدر دمه فرجع بن عوف وأمر له بقلائص، فردها المجنون وانصرف و قد زادت ألامه حيث يقول :

رَدَدْتُ قَلَائِصَ الْفَرِيشِيِّ لَمَّا بَدَا لِي النَّقْضُ مِنْهُ لِلْعُهُودِ
وَرَاحَةُ مُقْصِرِينَ وَخَلْفُونِي إِلَى حُزْنٍ أَعَالِجُهُ شَدِيدٌ

والمعنى من ذلك أن العاشق يهيم على وجهه في الصحراء، وينفعل بين اليأس والرجاء حتى لقي في أحد الأيام ابن عوف عامل خليفة على الصدقات، ورجاه حتى يكون رسوله عند أهل ليلي وأن يعمل على إصلاح مافسده من الأمر، وظن قيس أن ابن عوف سيحقق أمله، ولكن مهمته تفشل أمام إصرار والد ليلي على الرفض، فكانت صدمة شديدة على قيس وتأثر عقله. ثم رق له نوفل ابن مساحق عامل الصدقات بعد ابن عوف فقال له: "أتحب أن أزوجكما؟" فقال: وهل إلى هذا من سبيل؟ فوعده ببذل الجهد فيه، ودعا له بثياب وصار المجنون على هذا الأمل كأصح أصحابه، غير انه لما بلغ ابن مساحق قوم ليلي وتلقوه بالسلاح وقالوا: "إن السلطان قد أهدر لنا دمه، ووالله لا يدخل منازلنا أبدا فأقبل بهم ابن مساحق وأدبر، فأثر رد قيس ورجع وبلغ به البلاء مبلغه".¹

والمعنى أن ابن مساحق فشل كما فشل قبله ابن عوف، فلم يستطع إقناع أب ليلي ويزحزحه عن موقفه فقد تصور هذا العامل من خلال منصبه ومكانته العالية أن ينجح في طلبه، لكنهم كانا وهما، فذلك الأب المجروح والمطعون في كرامته بين الأهل والقوم رفض أن يغير رأيه.²

ولما يئست ليلي من حبيبها، استسلمت لما أراده أهلها من تزويجها صوتنا لسمعتها، حرصا على التقاليد، ورفعا لشأن أبيها في أعين القوم، فرآها وجيه من وجهاء بني ثقيب

¹- عبده الراجحي : محاضرات في الأدب المقارن ، دار النهضة العربية ، ط3 ، 2007 ، ص 59 .

²- المرجع نفسه : ص 60 .

يدعى "وردا" وهو شاب عربي ثري، فخطبها وتزوجها، ولما وصل إلى علم قيس نبأ زواجها من "ورد" طارت البقية من عقله و دخل المرحلة التي استحق لقب المجنون :

أَيَا وَيْحَ مَنْ أَمْسَى يُخْلِيسُ عَقْلَهُ فَأَصْبَحَ مَذْهُوبًا بِهِ كُلَّ مَذْهَبٍ
خَلِيْعًا مِنْ خَلَانٍ إِلَّا مُجَامِلًا يُسَاعِدُنِي مَنْ كَانَ يَهْوَى تَجَنُّبِي

إِذَا ذَكَرْتُ لَيْلِي عَقَلْتُ وَوَجَّهْتُ عَوَازِلَ قَلْبِي مِنْ هَوَى مُتَشَعِبٍ

فأصطحبه أهله للحج لعله يجد هناك شفائه، وقال له أبوه :تعلق بأستار الكعبة وسأل الله أن يعافيك من حب ليلي فقال قيس : "اللهم زدني ليلي حبا، وبها كلفا، ولا تنسني ذكرها أبدا" ولما رأى الحجيج محرمين أنشد يقول :

دَعَا الْمُحْرِمُونَ اللَّهَ يَسْتَغْفِرُونَ هَبْمَكَةَ وَهَنَا أَنْ تُمَحَى ذُنُوبَهَا
وَنَادَتْ أَنْ يَارَبِّ أَوْلُ سُوْلِي لِنَفْسِي لَيْلِي ثُمَّ أَنْتَ حَسِيْبُهَا
فَكَمْ قَائِلٌ قَدْ تَبَّ، فَعَصِيَّتْ هَوَاتِلُكَ لِعُمْرِي تُرْبَةً لَا أَتُوبُهَا

ولما ضاق منه الناس و يؤس منه قومه تركوه، ففكر أن يهيم في الصحراء، و ظل يحويها حيث يأنس فيها الوحوش و الطيور، وكان يهيم في الصحراء حتى يقطع المسافات الشاسعة فلا يعرف موقعه ولا أين يذهب، ويقال إن الوحوش كانت تألفه وتلتف حوله فقد كان يؤثرها على نفسه ويقدم لها مايقع في يده من طعام، وكان لحبه الحيوان لا يطيق أن يراه أسيرا في شبكة الصياد، ويسعد لما يرى الأطباء لأنه كان يرى فيه صورة حبيبته، وإذا وقع في الشبكة يسعى لإنقاذه ويذكره هذا في أسرحبيبته عند أهلها وذلها في زوجها ممن لا تريد.¹

حتى وافها أجله في سن صغيرة، حيث وجد ميتا في واد كثير الحجارة، فحملة أهله وغسلوه و كفنوه و دفنوه، فقال الهيثم: حدثني جماعة من بني عامر أنه لم تبقى فتاة من بني جعده إلا خرجت حاسرة صارخة عليه تندبه، واجتمع فتيان الحي يبكون عليه أشد بكاء وحضر منهم

¹ - عبده الراجحي: المرجع السابق، ص 61.

من حي ليلي معزين وأبوها معهم فكان أشد القوم جزعا وبكاء عليه وجعل يقول: " لو علمت أن أمره يجري على هذا ما أخرجتها عن يده ولا احتملت ما كان علي في ذلك و قال الهيثم: " ما رؤى يوما كان اثر باكية و باكية على ميت من يومئذ.¹

¹- طه ندا : المرجع السابق ، ص 162.

المبحث الثاني: ليلي و المجنون في الأدب الفارسي:

من أشهر شعراء الفرس الذين نظموا هذه القصة الشاعر " نظامي الكنجوي" (539-808هـ) نسبة إلى بلده كنج، وترجع شهرته إلى منظوماته الخمس التي تعرف باسم "خمسة نظامي" و من بينها منظومته عن ليلي و المجنون.¹

وقد كتب قصته ليلي و المجنون معتمدا في معظم تفصيلاتها على الروايات العربية، حيث بدأها بمقدمة طويلة بعضها أشعار في مناجاة الله و بعضها في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم و بعضها الآخر في التغني بالخير التي يستعيد على أقداحها ذكرى من قضاوا من الخلان و الأصدقاء، فقال: كان هناك ملك عظيم ذو جاه و مال وافر كان هذا الملك العامري مشهودا بقرى الضيفان والكرم ولكن مع كل هذا لم يكن له من يخلفه في حكم بني عامر لذا كثيرا ما كان يتذرع إلى الله أن ينعم عليه بآبن تقربه عينه ويحمل اسمه، فستجاب الله لدعائه فمنحه ابنا كالبدر فسماه "قيس" حيث نشأ قيس محاطا بالعديد من المظاهر العناية والرعاية وظل يلعب حتى بلغ العاشرة من عمره، وصار فتنة الخلق وسحر الوجود، وهنا أرسله والده لأحد المكاتب لطلب العلم والمعرفة، فالتقى قيس بمجموعة أبناء وبنات البيوت الكبيرة ومن بينهم الدرة النقية تنفذ نظراتها إلى القلوب وهي ليلي وكأن وجهها وسط الذوائب، وشعرها مصباح في الليل، فتعرف قيس بها فأحبها، وتوطدت الزمالة بينها حتى وصلت بينها إلى حد الحب وارتفعت مع الأيام إلى مرتبة العشق الجارف.²

ولما ذاع هذا العشق أصبح الجميع من أصحاب المكتب يتحدثون عن هذا الحب، ففشا سرهما وأصبح خبرهما على كل لسان، وكما مرت الأيام زاد العشق تمكنا من قلب قيس وعقله حتى أصبح أسيرا له وبدا يؤثر على تصرفاته واتزانته، حتى أصبح يطلق عليه اسم المجنون؛ فحجبت ليلي عن قيس حتى جن جنونه وبدأ ينتقل بين الوديان والقفار، وينظم أشعارا تفيض رقة و عذوبة، ومفعمة بالأسى واللوعة، وكان مما يقوله: "ياشبع أسرار الروح، رفقاً بفراشة روعي حتى لا تحترق بنارك، أنت الدواء لدائي، والمرهم لجرحي، قد أصابتنا العين ففرقتنا....."؛ فكانت إقامته في حي ليلي تسمح لهما أحيانا

¹- طه ندا : المرجع السابق ، ص 163.

²-رامي فواز أحمد المحمودي : المرجع السابق ، ص 138.

بالالتقاء خلسة بعيدا عن عيون الرقباء، وزادت حالة قيس سوءا في هيامه في حبه، فذهب والده ليخطب ليلي من والدها، لكن أباهما لم يوافق على زواج ابنته من قيس، ففي نظر والد ليلي أن قيس لم يسلك مسلك العقلاء، ولذا أبى الوالد أن يزوجه بمن شهر بين الناس بالمجنون.

وأضحى المجنون على نصائحهم مبالل الخاطر، يضرب هائما في الجبال وصحاري نجد، يتغنى بأبيات يرددها كل من سمعها وكان حال ليلي شبيها بحال قيس، فقد كان حبهما يزداد ويقوى كلما توالى السنين، وكانت دائمة التلهف لرؤية معشوقها والجلوس معه¹.

وذلك أن الشاعر **نظامي الكنجوي** في منظومته "ليلي و المجنون" يدعي أن المجنون هو ابن ملك صاحب ثراء و سطوة، حيث جعل الالتقاء بين قيس و ليلي في المكتب وهو المكان الذي كانا يذهبان إليه من أجل التعلم وحفظ القرآن إذ تعلق قيس بليلى وأحبها وأبهر بجمالها وحتى هي بادلتها نفس الحب وصار يلتقيان كثيرا، وأصبح حبهما سيرة على لسان كل الناس والأصدقاء. وبعد سماع أهلها حجت عنه ولم يستطع قيس التحمل فسألت أحواله وصار يهيم بين الوديان و ينظم أشعار في محبوبته ليلي، لأن حبه فيها أثر على نفسيته وعقله.

واشتد الأمر بقيس وطلب أهله له الدواء واتفقوا أن يذهب به إلى الكعبة فأعد أبوه العدة للرحيل به في موسم الحج ولما انتهى إليها قال لابنه: هذا مقام الجد فانظر علك تجد دواء لما بك، فتعلق بأستار الكعبة واطلب لنفسك الخلاص فبكى المجنون ثم ضحك، وتلوى تلوي الثعبان ثم تعلق بحلقة الكعبة و قال: "بعثت روعي في حلقة العشق، فلا كانت لي أذن بدون تلك الحلقة، يقولون لي دع عنك أمر العشق، والعشق قوتي بمائه وأدم لعيني حلية الاكتحاله، ويارب زودني من عشقها، وإذا قصر عمري العشق فزده في عمرها فبدون خمرها لا كانت كأس، فروي فدي لجمالها ودمي حلال لها"؛ فلما سمع والده ذلك أيقن أن داءه بلا دواء وعاد به يائسا².

¹-رامي فواز أحمد المحمودي : المرجع السابق ، ص 139.

²- عبده الراجحي : المرجع السابق ، ص 70 .

"ويشكوا أهل ليلى المجنون إلى الخليفة فيبيح لهم بدمه، وكان أبوه يسدي له النصح فلا يستجيب، فبحثوا عنه فلم يجدوا له أثرا، بينما كان المجنون معتزلا مكانا خفيا كالكنز بعيدا عن الأنظار، لاهيا عن مشاغل الدنيا ولم يضجر من أهوال العشق، إذ أنه خلص به منحب الذات ومن قيود النفس... وأخيرا اهتدى إلى مكانه أبوه فوجده راقدًا على الأرض في كهف مسندا رأسه إلى حجر قد ثمل، ولما تعرف على والده، بكى له معذرا على أن يستجيب له في أمر هو مقدر عليه، فحمله أبوه إلى المنزل وما إن ظل به بضعة أيام حتى مزق ثيابه وعاد إلى حياة الفيافي، إذ كان يحيا حياة هي حياة الموت في جبل نجد، يشكو ما به من الوجد وأناشيد طالما ردها المجنون.

أما ليلى فكانت أيضا مولهة به، كانت تنظم الشعر وترسله خافتة وسط الليل خوف الرقيب، تحترق بنار لا ضوء لها ولا دخان، هي نار الفراق، فكان شعر المجنون كالنار انتقادا وجوابها له كالماء لطفا ورقة، حيث كان من صوت هذين البلبلين صداح تطيب به خواطر من تبلبلت أفكارهم من الحب".¹

والمقصود من ذلك أن شكوه أهل ليلى أمر قيس إلى الوالي أو الخليفة الذي أباح لهم بهدر دمه إذا قدم حيهم ومحاولة والده أن يثنيه لكنه رفض الأمر، وحال ليلى لا تقل عن حالة قيس كانا يتراسلان شعرا، وكانا كبلبلين يخرجان أعذب الألحان ويجاوب أحدهما عن الآخر مما لفظ بهم العشق ووصل بهم الحال.

"وذات مرة خرجت ليلى في فصل الربيع إلى البستان مع بعض أترابها به حديقة قريبة، قد حليت بورودها الحمر والصفرة، فوق زمرد العشب وجلست ليلى الحوراء لتري الحديقة في ظلال الورود وقطفت كأس نرجس ولم يكن غرضها سوى مناجاة البلبل الثمل والإفشاء إليه بولعات صدرها".²

كانت ليلى شبيهة بالسرور تسري عن نفسها بالخروج بين الحين والحين إلى التنزه في فصل الربيع داخل حديقة مجاورة، وكانت هذه الحديقة قد غصت بالورود الحمراء

¹- عبده الراجحي: المرجع السابق، ص 71.

²- المرجع نفسه : ص 72.

والصفراء، حيث كان البلبل كالمجنون في هيامه بالوردة، وقد هام بها في البستان شابذو مكانة في قومه من بني أسد يدعى ابن سلام، فأعجب بجمالها وخطبها من أبيها، فاستمهلها أبوها بعض الوقت حتى تشفى من مرض ألم بها، وبعد أن تنفتح زهرتها وتبرا مما علق بها من شوك، وظفر ابن سلام بهذا الوعد ثم عاد إلى دياره.¹

" بينما ظلت ليلي بين قومها مستوحشة وكان المجنون ضالا كحظه في السهول والجبال، لا أنيس له غير الوحوش في الصحراء يهيجه الشوق في نواحي نجد، وفي يوم قد مر به ملك من تلك الناحية يدعى "نوفل" كان قوي الجناح لطيف المحضر، قص عليه قيس ما به من هيام، فرق له نوفل ووعدته بأن يعمل على تحقيق أمله في الزواج من ليلي، وقاد هذا الأمير جيشا هجم به على حي ليلي، حيث لجأ إلى حرب لقهر قوم ليلي على قبول قيس ويتغلب جيش نوفل على قوم ليلي لكن الأب لم يستسلم لرغبة نوفل في خطبة ليلي لقيس بل يهدد بقتل ابنته وإلقاء رأسها للكلاب، فينسحب نوفل تاركا ليلي وأهلها وهنا يعاتبه قيس عتابا شديدا ويعود على إلى حياة التشرذم في الصحراء.

وعلمت ليلي بما تم في أمر نوفل و أنه رد غير مجاب، فأخذ منها الضيق كل مأخذ وطارت شهرتها في الأفاق و تطلع إليها الخاطبون يطلبون وصالها بالمال والولايات، فخطبها ابن سلام وبذل الوفرة من المال مع ساحر الكلام، فزفت إليه وحملها إلى قومه وهناك هم بها يقطف من جناها، فلطمته لطمه شديدة فقالت: "أقسم بخالقي الذي صورني على هذا الجمال، لن تنال مني غرضا وإلا أرقت دمي بسيفك " فيئس منها وعلم أن قلبها مشغول بآخر، فقتع منها بالرؤية من بعيد".²

"وقد علم المجنون بزواج ليلي، صار كالطائر الكسير الجناح، يناجي ليلي عاتبا حانقا على زوجها، معاهدا إياها أنه حبها مقيم، حيث تطيل إقامته وحيد في الصحراء و كان والد قيس قد انفصل عنه حزينا و يائسا، فخرج مع قومه للبحث عنه وعثر عليه وترجاه للعودة إلى داره، فلا يستجيب المجنون و يودع أباه وداعا مؤثرا ولما عاد الأب إلى بيته ألح عليه

¹ - محمد عبد السلام الكفافي : في الأدب المقارن " دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي " ، دار النهضة العربية ،

ط1 ، 1971 ، ص332.

² - المرجع نفسه : ص 333.

المرض الذي كان قد أصابه من شدة حزنه على ولده فوفته المنية بعد أن نوى عوده و أسلم الروح، و لما علم المجنون ب وفاة والده ،فخف إلى قبره باكيا مستغفرا، وبعد أن قام بواجب الحداد على أبيه انصرف لمأواه في الفيافي،أنسا الوحوش يأكل مثلهم من نبات الصحراء حيث جعل من الوحوش جيشا كانت له الطائعة ، وقد حصن المجنون في إطعامها، وقامت على حراسته، وكانت رفيقة له في الحل والترحال".¹

" وكان قيس يتأمل في السماء وما بها من الكواكب، ينجي الزهرة و المشتري، ثم ينجي الله قائلا:(يا من إلى بابك ملجئي و مالي من ملجأ سواك، ومن الزهرة و المشتري من عبيدك.....و من علمك فوق الظنون و إحسانك يجاوز ما يعلمون يا ملك الوجود وقاضي الحدود، ومن نحن لك عبيد ولا سيد لامرئ سواك أفضي علي من فضل عنايتك حتى يضيء جانب عيش و أصير سعيدا بالوفاء)؛ وبينما يهمس لنفسه بذلك الدعاء أخذه النعاس، فرأى في نومه حظه كأن شجرة أصلها ثابت في الأرض و فرعها في الأوج وقد حلق طائر فوق غصن من غصونها فتساقطت من منقاره حبات في الدر استقرت فوق رأس قيس كالتاج و أسفر الصبح فأفاق مسرورا كأن ذلك الطائر يرفرف عليه بالسرور. وأتى قيسا رسول تنسم منه المجنون ريح الأمل و قص عليه أنه مر أمس بذلك الوطن، ورأى عادة كالقمر، وخصلة شعرها كالجيم، وفمها كالميم أشفقت عليها و سألتها عن سبب بكائها فقالت لي: أنا ليلي، ولكني الآن أشد جنونا من ألف مجنون، وصارت تحكي عن شوقها وسألتني عنك، فأفضيت إليها بما أعلم من أخبارك وعاهدتني أن أنهي إليك رسالة منها و ها هي ذي، ففض المجنون الرسالة وقرأها، ثم كتب المجنون الرد، ورمى به إلى الأرض فأخذه الرسول و أسرع إلى ليلي".²

نظامي يحول الأمير إلى حرب بين الطرفين، فهذا نوفل قد جمع مائة من رجاله يحارب بهم أهل ليلي بعد أن رفضت شجاعته وهذه الحروب تدور بين الطرفين، حيث أن نوفل يهزم أهل ليلي، وتبدو ليلي بعد زواجها من ابن سلام عنيدة متكبرة ترفض أن يمنح زوجها من نفسها ما هو حق لكل زوج وتصرح له بأنها لن تحقق له ما يريد منها و لو أرق دمها

¹- عبده الراجحي : المرجع السابق ، ص 75 - 76 .

²- المرجع نفسه : ص 79 - 80 .

بسيفه، مما يدل على تمسك ليلي بحبيبها ووفائها له بالروح والجسد؛ فقد نشأ بين قيس وحيوان الصحراء ألفة، فيحن على الغزلان ويناجي غرابا رآه فوق الغصن، فكان قيس وحيدا في الصحراء، مما زاد عليه وفاة والده. وفي صباح مشرق جاءه خطاب من ليلي وصفت فيه همومها و ناجته أعذب الكلمات، ووصفته بأرفع الصفات، وأجابها المجنون لخطاب مماثل بث فيه كل ما يختلج روحه.

"وكان لقيس خال اسمه "سليم العامري" أراد يوما أن يتفقد حال قيس وهو شريد في الخلوات فشق عليه ما رآه من حال قيس حين وجده بين الوحوش قد أسود وجهه من لفحات الشمس ممزق الثياب شبه عار منها، فأحضر له خاله الشواء وبعض الطعام فأبأها و ألقى بها طعاما للوحوش، وأخبر خاله أنه قانع من طعام بما ترعاه الغزلان، وفي تلك الأثناء كانت ليلي قد برج بها الشوق، فخرجت من بيتها، فرأت على الطريق شيئا فسألته عن أخبار قيس، ذلك الذي جالس الوحش وأنس الوحوش فطلبت منه أن يرتب لها في الخفاء لقاء مع قيس، ونجح في ذلك، فيتلقى الحبيبان في واحة صغيرة يظلمها النخيل، يأتي قيس محاطا بصفين من الوحوش يحرسانه، ودخل كالملك إلى مكان اللقاء، حيث يجلس قيس في انتظار قدوم عشيقته و تعلم ليلي بقدمه فتسرع إلى المكان وتجلس إلى عشيقها وأخذا يتناجيان: (أنت الربيع، والمجنون يبكي في إترك بكاء السحب على رياحين الربيعويهمم البلبل من هدى الورد كما يهيم المجنون أسي حين ينأى بعيدا عنك، إن عيني أكثر ثملا من نرجس هذه العيون، كما أنني أتلوى وجدا كذوائب شعرك، وأقطف تفاح ذقنكوأجني رمان صدرك) ومر اللقاء كأنه لحظات، وعاد قيس إلى الفيافي يذرعا طولاً وعرضا وتعود ليلي إلى خيمتها.¹

"وذاعت أخبار قيس في الأفاق فسمع به فتى من بغداد هو "سلام البغدادي" كان هو الآخر عاشقا أخذ يبحث عن قيس حتى وجده وعاشا معا أياما، تعلم فيها من قيس نبذ الدنيا وحفظ عن قيس كل غزله".²

¹- محمد زكي العشماوي : المرجع السابق ، ص 141 .

²- محمد عبد السلام الكفافي : المرجع السابق ، ص 335 .

"وبعد فترة لم تطل، مات زوج ليلى قبل أن ينال منها ما يريد، وظلت ليلى ينال منها الوجد ويزيد عليها الكمد، ويشتد بكأؤها على قيس، ثم عادت إلى بيت أبيها، وجدت في إرسال الرسل على أثر قيس، تبليغه خبر وفاة زوجها فبكى قيس وضحك طربا لأن عقبة أزيحت من الطريق، واحتجبت ليلى في بيت أبيها سببا في مرضها الذي أخذ يشتد عليها وحين انتهت المنية نادى أمها وحملت الرسالة إلى قيس بأنها أخلصت في حبها إليه وقدمت روحها قربانا للعشق".¹

"ويعلم قيس بموت ليلى فيهرع إلى قبرها ويظل منحنيا عليه يبكيها ويبلل القبر بدموعه وبقي كذلك حتى تخلص من أسر الجسد فصعدت روحهمندفعة صوب معشوقته، حيث يلتقيان في عالم الصفاء والبقاء بعيدا عن هذا العالم، عالم الهواء والفاء؛ حيث آهما زياد صاحب قيس في منامه، فرأى "روضة مزدانة تشرق بها جوانب العالم، وتكثر بها الأشجار ووسط هذه الروضة ملكان قد استويا على سرير منصوب على حافة الماء، ومفروش بديباج الجنة جمالا، وارتدى الملكان من رأسيهما حتى الأقدام لباسا من نور وعلى كؤوس الخمر وأمامهما الربيع" وهذا يعني أن الفاتنان بجمالهما قد أخذتا مقعدهما في مقام الفردوس".²

فالنظامي يمدح مجنون ليلى ويرى أنه لم يكن مجنونا على نحو ما يفهم العامة من هذه الكلمة، بل كان عالما بأسرار جعلته مشرق الباطن قريبا من الله، وأنه اختار حياة الخلوة وعرة المسلك في الصحراء بغية إضعاف قيوده بهذه الدنيا لكي يسرع في التخلص منها لأنها ليست إلا طريقا للخطوة بالعشق الخالد في الحياة الأخرى، حيث أنه لا يترك مجالا للشك في أن قيس نجا من قيود المادة، وتقرب من المعشوق الأزلي، واتخذ العشق طريقة إلى الحق، وكانت ليلى في البدء سببا لأن يتجه إلى حبها، ثم إنه فكر عن طريق الحب في أسرار الكون حتى توصل بتفكيره إلى أن المعشوق الخالد هو الله.³

¹ - محمد زكي العشماوي : المرجع السابق ، ص 342 .

² - داود سلوم : المرجع السابق ، ص 164 .

³ - مأمون بن محي الدين الجنان: مجنون ليلى بين الواقع والأسطورة، دار الكتب العلمية - بيروت - ط1، 1990، ص

المبحث الثالث: التأثير والتأثر بين الأدبين

"لقد راجحت قصة المجنون في الفارسية أكثر من غيرها من قصص الحب العذري عند العربي، حيث رسم نظامي الطريق أمام غيره من الشعراء في جوانب متعددة ونسق المادة العربية التي وجدها في إطار قصصي متسلسل وإضفاء الوحدة على المجموعة من الروايات المتناثرة، مع أن قصة المجنون اكتسبت في الأدب الفارسي حقائق جديدة، حيث ظل التأثير العربي واضحا في غاية الوضوح ومن أهم مظاهره مايلي:

- تأثر الأدب الفارسي بالأدب العربي في الهيكل العام للقصة، فالحوادث الأساسية التي كونت القصة لدى شعراء الفرس تتضمن نشأة الحب بين قيس وليلى عذريا صادقا في الصغر، ثم حجت ليلي عن قيس، حيث اشتهر هذا الحب، ورفض والدها تزويجها له، وهيام قيس في الصحراء على وجهه وتوسط بعض الأمراء له عند والد ليلي، ثم زواج ليلي الذي عجل بنهاية المأساة، إذ وقع كلاهما فريسة يأس قاتل، فمات قيس ومات المجنون على أثرها، وجعل نظامي قيس يحب ليلي منذ كانا صغيرين، وشغلا بهذا الحب عن واجب الدرس في المكتب الذي كانا يختلفان إليه.

فالطابع العربي كان واضحا لهيكل القصة من خلال حوادثها، فشعراء الفرس على اختلافهم يقصون هذه الأخبار على أنها وقائع جرت في البيئة العربية وأثرت في أشخاص أبطالها".¹

- "أخذ شعراء الفرس كثيرا من خواص البيئة العربية وعاداتها ومناظرها، لكي يضعوا في قالبها تلك الأحداث التي تكون القصة، فسربت إلى الأدب الفارسي عادات عربية سواء كان مصدرها ما علموه من أحوال العرب وعاداتهم أم كان مصدرها ما قرؤوه في الأشعار المروية عن قيس".²

- "كان التأثير العربي أظهر وضوحا في طابع الحب العذري الذي دارت حوله أخبار قيس في الأدب العربي، وقد بقي الحديث عن قيس في الأدب الفارسي حديث عن الحب العفيف الذي يبعد عن الغايات الحسية وهذا أمر اشترك فيه كل من تحدثن ليلي والمجنون من

¹ - عبده الراجحي : المرجع السابق ، ص 89- 90 .

² - المرجع نفسه : ص 91 .

أولئك الشعراء، حيث تميز الحب العفيف بالطابع الصوفي ومغزى صوفي على حب المجنون لليلى وحب ليلى للمجنون.

وقد دفع هذا الإخلاص للعاطفة والتسامي بها إلى استعذاب العذاب في سبيلها وجعل هيامه في الصحراء وألفة بين الوحوش، والتذرع إلى الله، فهذه الأفكار لم تخل في الأدب العربي، بل إنها كانت في الفارسية أقوى ظهوراً وأكثر وضوحاً لأنها كانت تدور حول العبادة والتصوف¹.

- "انتقال من الأدب العربي إلى الأدب الفارسي، الخصائص التي تدل على حدة العاطفة واحتدامها لدى المحبين العذريين كمخاطبة الطير والحيوان، وكذلك ما روى لقيس في تفديته الطباء لشبهها بليلى، غير أن شعراء العربية كانوا يخاطبون الأطلال والنجوم والليل ورواحلهم في الجاهلية ولكنهم لم يبلغوا في ذلك ما بلغ الشعراء العذريون وذلك أن شوبب العاطفة يدفع بأصحابها إلى إحساسهم بأن الحيوانات تشاركهم تلك العاطفة وهذا ما تأثر به شعراء الفرس في نظمهم لقصة المجنون، ففي قصة "نظامي" نرى أن المجنون يخاطب الكواكب والمشتري يبثها وجده ويطلب منهما العون.

- اتخاذ قيس معنى صوفياً عميقاً عند شعراء الفرس، حيث كانت شخصية المجنون قريبة إلى النفوس المتصوفة، وقد جعلوا من أخبار قيس مأساة نفس متعبدة نشدت الحقيقة عن طريق القلب والشعور، وكان قصد الشعراء من وراء ذلك أن القلب هو الذي يهدي إلى الحقيقة وأن العاطفة أصدق من الفكر، فجعلوا من قيس متعبداً تقياً ذا قلب طاهر وعاطفة صادقة وقد توصل بها إلى طريق الحق².

- ولذا بقي للموضوع في الأدب الفارسي خصائص تميزه عن أصله العربي فبعض هذه الحقائق تتعلق بالحوادث ومجراها في القصة، وبعضها يتعلق بوصف البيئة ومناظرها، ثم أن الطابع الصوفي الذي اكتسبت به القصة الفارسية سماتها المتميزة حيث تحول الحب العذري البدوي بين فتاة وفتى الحي إلى حب صوفي من النوع الذي تتوحد فيه الروحان والجسدان

¹ - محمد غنيمي هلال : الأدب المقارن ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر - القاهرة - 3 ط ، 1998 ، ص 227 .

² - عبده الراجحي : المرجع السابق ، ص 93 .

وتتجرد النفس من غاياتها الدنيا وشهواتها المادية وتصفوا وتشرق وتصبح في النهاية نموذجاً روحياً خالصاً يرمز للحب الإلهي الذي هو أرقى وأسمى أنواع الحب".¹

"مما يزيد في ذلك أن الترجمة بين الأدبين العربي والفارسي كانت أعمق أثر في أدب الفرس، بفضلها وجد النثر الفارسي وتطور واتبع في تطوره نفس المراحل التي مر بها النثر العربي. حيث ترجم التاريخ والتفسير للطبري، وكتاب كليلة ودمنة الذي يعد من بين الكتب التي قربت بين الأدبين في الوقت الذي أحدث فيهما حركة فنية وفكرية وكان ابن المقفع قد ترجمه عن الفارسية الفهلوية القديمة التي نقل إليها من اللغة الهندية. كما نجد رباعيات الخيام وما رأسته من قواسم مشتركة بين الأدبين فنا وأسلوباً، فكراً ونقداً يدفعها إلى إحياء مؤسسات مشتركة لترجمة آدابهما وتراثهما ومؤلفاتهما المختلفة في كل اتجاه".²

"أما التأثير في الأسلوب بين الأدبين فهي أشهر وأرحب ممثلة في الأجناس التي انتقلت من العربية إلى الفارسية مثل: القصيدة الغنائية والمقامة وغيرها، في الوقوف على أطلال البلاد بعد تخریبها في الحروب، والوقوف على الآثار في الأدب الفارسي في الشعر العربي".³

¹ - محمد عبد السلام الكفافي : المرجع السابق ، ص 345 .

² - بديع محمد جمعة: المرجع السابق، ص 189.

³ - محمد غنيمي هلال : المرجع السابق ، ص 228 .

المبحث الرابع: المقارنة بين القصتين

أ) أوجه الاختلاف :

- "ظل في الأدب العربي القديم مجموعة من الأخبار التي تعددت طرق الرواية فيها فكان هذا التعدد سببا في ما بينها من اختلاف و تناقض، بل سببا في إنكارها جميعا من بعض النقاد، أما في الأدب الفارسي فقد قام كل شاعر من شعرائه بنظم قصة رتبة حوادثها على حسب ما اختار من الروايات العربية فجاءت الحوادث في قصته مؤتلفة متسقة لا تضارب فيها ولا اختلاف"¹.

- "كان موضوع القصة في الأدب الفارسي مجالا أطلق فيه الشعراء العنان بخيالهم وتفكيرهم أما في الأدب العربي كان مثار بين الرواة والمؤرخين.

- تميزت القصة في الأدب الفارسي بالعثق الصوفي فلم يكن قيس يحب ليلى ليتزوجها، بل كان يحبها للحب نفسه ولأنها أهل لكل حب، أما في الأدب العربي على أساس الحب العذري الغزلي.

- عالج نظامي هذه القصة في محيط الأدب الخاص أما في أصولها العربية كانت تاريخية تبحث عن شخصية قيس وهل كان لها وجود تاريخي حقيقي، ومتى عاش؟

- فالشاعر نظامي يجعل قيسا يتعرف على ليلى في المكتب كان يختلفان إليه للدرس والتعلم أما في الرواية العربية جعلت التعارف بينها يرعيان الإبل و هما صبيان .

- تعدد الشخصيات في القصة الفارسية التي لا وجود لها في الأصل العربي مثل "سليم العامري " خال قيس .

- المناظر والصور والأمكنة لنظامي لاتشبه ما جاء في القصة العربية.

- اكتساب القصة في الأدب الفارسي صبغة جديدة في الوصف في بعض المواقف تبعد بها من البيئة العربية البدوية.

¹- عبده الراجحي: المرجع السابق ، ص 95.

- انفراد القصة في الأدب الفارسي بالحب الصوفي وتلك الروح العذبة المتفانية أما في الأدب العربي بالحب العذري و ما يتصل به من صراع بين العاطفة والتقاليد¹.
- "مناجاة قيس للغراب حتى يكون رسولا له إلى ليلى في الفارسية في حين أن الغراب في الأصل العربي نذير شؤم .
- في القصة الفارسية بقيت ليلى عذراء طيلة حياتها ، و هذا لم يذكر في الأصل العربي.
- جعل الشاعر نظامي قيس سببا في موت أبيه حزنا و كبدا، رغم أن والد قيس لم يميت في المصدر العربي .
- تحدث الشاعر عن الفضيلة والأخلاق في منظومته، على عكس ما هو في الأصل العربي².
- "اختلاف في كلمة " المجنون ": ففي الأصل العربي تعني الخروج عن المعقول وتشير إلى التصرف الشاذ غير المألوف، والخروج عن النظام المتعارف عليه، أما في الأصل الفارسي أصبحت ترمز لمعنى صوفي روعي رمزي: أي الخروج من سلطان العقل وقواعده و الانتقال إلى سلطان القلب و الخضوع لمشيئته .
- تميزت القصة في الأدب الفارسي بسمات صوفية تجسدت في الحلم الذي رآه زياد لكل من " ليلى والمجنون" وهما ينعمان معا في روضة من رياض الجنة، أما في الأصول العربية لا وجود لها .
- تجنب قيس أكل اللحم والتزام الزهد واعتماد على العشب في طعامه عند الفارسية، على عكس ما عند العرب لا يأكل ولا يشرب بل يتغنى بأشعاره فقط.
- تركيز القصة الفارسية على النزعة الصوفية التي غلبت العمل الفني وطبعته بطابع روعي يختلف اختلافا عن الرواية العربية التي ركزت على إبراز عاطفة الحب العذري بين العاشقين و ما نشأ عنهما من صراع.

(ب)- أوجه الشبه :

¹- عبده الراجحي: المرجع السابق، ص 96 - 97.

²- محمد زكي العشماوي: المرجع السابق ، ص 345 .

- شخصية قيس و ليلي كلاهما كانا ينظمان الشعر.
- الصراع بين العادات والتقاليد وعاطفة الحب .
- عشق ليلي والمجنون إحداهما للأخر .
- قيام أهل ليلي على قيس ثورة في إهدار دمه .
- منع ليلي من رؤية قيس، مما جعله يصاب بالجنون.
- ذهاب والد قيس لخطبة ليلي، مما جعل والدها يرفض هذا الزواج .
- هيام قيس على وجهه في الصحراء و تخبطه في الخلوات .
- معاناة الحبيبين من الحزن و الأسى و جعل الفراق فراق الآلام و الغربة الروحية.
- استعانة قيس الرسل ليعلم أخبار حبيبته ليلي حين يصعب لقاءها .
- تراسل العاشقان في الخفاء، وعن بعد فيما بينها من أشعار، ووصف حالتها من العشق.
- تعرف نوفل أمير الصدقات إلى المجنون ، و مساعدته في التوسط بينها .
- زواج ليلي واستسلامها لما أرادها أهلها .
- معرفة المجنون بزواج ليلي حتى زاد من جنونه .
- هجرة قيس للمدن و الناس واستئناسه بمظاهر الطبيعة و مؤانسته للوحوش .
- اصطحاب والد قيس ابنه إلى الحج و زيارة الكعبة، لعله ينسيه ما هو فيه من عذاب.
- تعلق قيس بأستار الكعبة طالبا من الله أن يخلد حبه لليلي.
- تذرع قيس إلى الله و مناجاته في إخلاد حبه من خلال دعائه بمحبوبته ليلي .
- اطلاع والد المجنون على ما عزم عليه أهل ليلي .
- جعل قيس الوحوش رفيقة دربه في حياته تلك ، مما نشأ بينه و بين حيوان الصحراء ألفة.

- تحرير المجنون للطبية والغراب من شبكة الصياد، لأنه كان يرى فيه صورة حبيبته ليلي.
- وفاة قيس وحيدا في الخلوات والصحاري، ملقاة على الأرض .

❖ خلاصة:

"كان الشاعر النظامي مبدعا في نظمه قصة "ليلي والمجنون" فعلى قدر تمسكه بالأصول العربية للقصة، قد أفضى عليها طابعها الخاص وتقديمه نحو التصوف والأخلاق، وخاصة نقلها من المحيط التاريخي إلى المحيط الأدبي الفني .

فقد صاغ القصة في منظومة شعرية طويلة تتألف من أربعة آلاف وخمسمائة بيت من الشعر، و تناول أحداث قصة متكاملة وتطور هذه الأحداث إلى نهايتها متعاقبة كل حدث حسب جزئياته؛ حيث جعل موقف قيس وصاحبته ليلي مجسدا لمعنى واحد و ناشرا للمغزى العام الذي تهدف إليه المنظومة، كما يشير إلى عذابهما وتحملها العناء والشقاء، وصبرهما على المكاره وكل ذلك يشير إلى الصوفية، وأن قيس و إيمانه بالقدر أثر ديني إسلاميحيث رأى أن المعشوق الخالد هو الله حيث يقول النظامي في منظومته: " واسلم نفسك لقدس العشق حتى تتحرر كل التحرر من ذاتك وانطلق كالسهم حتى لا تسقط بعيدا عن الهدف ".¹

¹- رامي فواز أحمد المحمودي : المرجع السابق ، ص 140 .

نستنتج مما سبق أن العلاقات الأدبية العربية والفارسية تشكل محورا رئيسيا من محاور الدراسات الأدبية جليا في أواسط القرن العشرين وذلك بظهور جيل من الدارسين والمقارنين العرب الذين أولوا العلاقات بين الأدبين العربي والفارسي قسطا كبيرا من جهودهم العلمية ونشاطاتهم الأدبية .

فما من أمتين تباينت وتخالفتا في الدم واللغة والبيئة الطبيعية والاجتماعية، ثم تدانى أدبهما واقترب بعضه من بعض حتى كاد يكون من حيث الصياغة والمنحى واحدا إلى الحد الذي يتعذر على أحد أن يميز بين أدب وآخر لولا اللغة الدالة عليه، كالأمتين العربية والفارسية وعلى الرغم من أن الاختلاف في اللغة وطبيعة النشأة بين الأمتين لا بد وأن يترك أكبر أثر من الاختلاف في طبيعة أدب الأمتين وصياغته ومنحاه، فقد كان الأدب الفارسي أقرب إلى الأدب العربي من الآداب الأخرى .

فاللغة العربية بتراتها على اختلاف مناحيه وبكل أصوله وفروعه كانت حجر الرchy في تكوين ثقافة الفارسي، حيث قفزت به من أفق ضيق إلى واسع متفتح على الثقافات كلها دون تحديد أو توجيه لثقافة معينة، باعتبارها لغة القرآن الكريم؛ وحفظ بها التفاهم بين الأمم الإسلامية في الشام والعراق وغيرها ولولاها لكانت كل أمة من الأمم تتكلم لغة لا تفهمها صاحبها. كما أن الشعر الفارسي لم يعد يؤلف بالصورة القديمة، إنما أصبح له مفردات خاصة حديثة المعاني .

حيث تبادل الأدبان العربي والفارسي المواضيع والأساليب وأعطت الفارسية الأدب العربي عمق المعنى وجمال التصور واتساع أفق الرؤيا، وأعطت العربية الفارسية العروض والبديع والدين بمنازله وأفكاره.

كما أن مجنون ليلي قصة عربية مشهورة تحاكي أروع معاني الحب والعشق التي جمعت بين شخصين، تميزت هذه القصة بعمق مشاعر الحب والإصرار والإيمان بالحب دون كلل أو ملل ومحاربة كل الظروف للوصول إلى الهدف؛ وعلى ضوء هذه الدراسة توصلت إلى النتائج التالية :

- انتشار حضارة الفرس في المجتمع الإسلامي في مختلف الميادين الاجتماعية والسياسية والثقافية وأصبحت اللغة الفارسية شائعة في المجتمع الإسلامي .
 - دخول الأدبين العربي والفارسي في علاقات متقنة متينة وانحسار كل منهما للآخر.
 - انتشار اللغة العربية في بلاد الفرس، راجع إلى مكانتها في القرآن الكريم .
 - إن العرب أعطوا أكثر مما أخذوا ونفعوا أكثر مما انتفعوا وقدموا للفرس المتعطشين للإسلام وما جاء به ولم يبخلوا عليهم أو يمتنوا بما أولوهم به.
 - انتقال موضوع ليلي والمجنون من الأدب العربي إلى الفارسي حيث عرف صياغات مختلفة.
 - محافظة الشعراء الفرس على مظاهر البيئة العربية البدوية التي دارت على ساحتها أحداث القصة.
 - اكتساب القصة في الأدب الفارسي بالطابع الصوفي الذي بقي طاغيا ومميزا عن الأصل العربي بطابع الحب العذري .
 - اتخاذ شخصية قيس معنى صوفي عميق عند الشعراء الفرس، حيث كانت قريبة إلى نفوس المتصوفة متعبدة نشدت الحقيقة عن طريق القلب والشعور.
 - تحول الحب العذري إلى حب صوفي تتجرد النفس من غاياتها الدنيا، لتصل إلى نموذج روعي خالص يرمز للحب الإلهي.
- ويمكن القول أن مجنون ليلي من أشد القصص أهمية لدى الدارسين، ربما لم تحظى بهذه الأهمية أية قصة عربية سواها، حيث أعيد الاعتبار لهذه القصة بعد أن طورها خلال قرون عدة وذلك في القرن العشرين، فحولت إلى مسرحيات وأفلام سينمائية وإلى مغناة، فقد اشتغلوا عليها شعرا ورواية. مثل مجنون ليلي في مسرحية أحمد شوقي، فهل تأثر شوقي بالأدب الفارسي من ناحية الموضوع؟.

والله ولي التوفيق.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المصادر

- 1- بدوي أمين عبد المجيد: القصة في الأدب الفارسي، دار النهضة العربية - بيروت - (د.ط) 1971.
- 2- الجنان مأمون بن محي الدين: مجنون ليلي بين الواقع والأسطورة، دار الكتب العلمية، بيروت - ط1، 1990.
- 3- الراجحي عبده: محاضرات في الأدب المقارن، دار النهضة العربية، ط3، 2007.
- 4- زيدان جرجي: تاريخ آداب اللغة العربية، الجزء 2، تقديم إبراهيم صحراوي، دار موفم للنشر، (د.ط)، 1993.
- 5- الشابي علي: الأدب الفارسي في العصر الغزويني، دار الثقافة للنشر، (د.ط)، 1965.
- 6- العشماوي محمد زكي: المسرح أصوله واتجاهاته المعاصرة "دراسة تحليلية مقارنة"، دار النهضة العربية - بيروت - ط1، (د.ت).
- 7- الكفافي محمد عبد السلام: في الأدب المقارن "دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي"، دار النهضة العربية، ط1، 1971.
- 8- المصري حسين مجيب: الصلات بين العرب والفرس والترك "دراسة تاريخية أدبية" الدار الثقافية للنشر - القاهرة - ط1، 2001.

ثالثاً: المراجع

- اللغة العربية :

- 9- أبو زيد سامي يوسف: الأدب المقارن "المنهج والتطبيق"، دار المسيرة للنشر والتوزيع، (د.ط.ت).

قائمة المصادر والمراجع

10- جمعة بديع محمد: من روائع الأدب الفارسي، دار النهضة العربية - بيروت - ط 2، 1983.

11- الخفاجي محمد عبد المنعم: الحياة الأدبية في العصر العباسي ، دار الوفاء للطباعة والنشر - الإسكندرية - ط 1، 2004.

12- سلوم داود: الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية ،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ط1، (د.ب.ت) .

13- المحمودي رامي فواز أحمد: النقد الحديث والأدب المقارن ، دار الحامد للنشر والتوزيع، ط1، 2008.

14- ندا طه: الأدب المقارن ، دار النهضة العربية ، (د.ب.ت) .

15- نوار سامي: فن صناعة المخطوط ، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط1، 2002.

16- هلال محمد غنيمي: الأدب المقارن ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، ط 3 ، 1998.

- المترجمة:

17- آذرتوش آذرتاش: سبل نفوذ الفارسية في ثقافة عرب الجاهلية ولغتهم ،ترجمة وعلق عليه الدكتور محمد التونجي ،دار المجتمع الثقافي ،(د.ب.ت) ، 2004.

18- هورن لباول: الأدب الفارسي القديم، ترجمة دكتور حسين مجيب المصري، الدار الثقافية للنشر - القاهرة - ط1، 1999.

رابعاً: المجلات والدوريات

19- مجلة آداب البصرة: أثر المقامات العربية في الأدب الفارسي، جامعة البصرة، ع:49، 2009 .

قائمة المصادر والمراجع

20- مجلة المعرفة : الأدب العربي في الآداب الأجنبية ، ع: (191- 192)، 1978.

خامسا: الرسائل الجامعية

21- يوسف بوجلة: مذكرة ماجستير " تأثر الأدباء الفرس بالأدب العربي في القرون الإسلامية الأولى، الشاعر منوجهي نموذجاً "جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات، (2006-2007).

سادسا: الانترنت

22-منتدى ستار تايمز: "أرشيف التاريخ العالمي والإسلامي"، العدد: 2، (2017-01-21/15:39).

23-الموقع: Effectivemenasure.net . www : "منتدى التاريخ/ مسلك التاريخ والحضارة".

- دعاء

- كلمة شكر وتقدير

- الإهداء

- مقدمة..... أ - ج

مدخل: تراث الفرس قبل معرفتهم الأدب العربي.....2

الفصل الأول: بداياتوارهاصاصات

المبحث الأول: لمحة عن العصر العباسي (اختلاط العرب والفرس).....9

المبحث الثاني: أول من قال الشعر بالفارسية من الفرس18.....

المبحث الثالث: تتلمذ الفرس على يد العرب.....24

المبحث الرابع: التوأمة بين اللغتين.....28

الفصل الثاني:دراسة تطبيقية "قصة ليلي والمجنون أنموذجا "

- تمهيد.....34

المبحث الأول: ليلي والمجنون في الأدب العربي.....35

المبحث الثاني: ليلي والمجنون في الأدب الفارسي.....40

المبحث الثالث: التأثير والتأثر بين الأدبيين.....47

المبحث الرابع: المقارنة بين القصتين.....50

- أوجه الاختلاف.....50

- أوجه الشبه.....-52

خلاصة.....54

56..... خاتمة -

59..... قائمة المصادر والمراجع -

63..... الفهـ رس -